جمهورية العراق
ديوان الوقف الشيعي

تراث البصرة

مجلة فصلية محكمة
تعنى بالتراث البصري

تصدر عن :
العتبة العباسية المقدسة
قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية
مركز تراث البصرة

السنة الثالثة - المجلد الثالث - العدد التاسع

محرم ١٤٤١هـ - أيلول ٢٠١٩ م

الحِجَاجُ في خِطَابِ يزيدَ بنِ مسعودٍ النَّهشليِّ البصريِّ لقومِهِ، وجوابُهُ إلى الإمامِ الحُسينِ عليه السلام

Arguments in the Address of Yazeed bin Mas'ood Al-Nahshaly Al-Basri to His People' and His Answer to Imam Hussain (PBUH)

أ.د. سالم يعقوب يوسف السَّلميّ

كلِّيَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة/ جامعة البصرة/ قسم اللُّغة العربيَّة

By

Dr. Salem Y. Yousif Al-Salemy, Professor,

Department of Arabic,

College of Education for Human Sciences,

University of Basra.

ملخَّصُ البحثِ

أبو خالد، يزيد بن مسعود النهشليُّ البصريُّ واحدٌ من أشراف البصرة الَّذين خصَّهم الإمام الحسين عليه السلام بكتابه الذي أرسله مع مولىً له يسمَّى (سليمان، أبو رزين)، وقدْ قتله عبيد الله بن زياد على أثر ذلك، وقدْ وجَّه الإمام الحسين عليه السلام كتابه هذا من مكَّة إلى رؤساء الأخماس في البصرة ليدعوهم إلى نصرته.

لقدْ سجَّل التاريخ موقفاً مشرِّفاً لهذا الرَّجل لتلبية دعوة الإمام الحسين عليه السلام واستجابته له، بعدما خطب عدداً من الأقوام في البصرة ممَّن كانوا تحت لوائه وهم: بنو تميم، وبنو حنظلة، وبنو سعد وبنو عامر، فأثَّر خطابه فيهم، فأجابوه، ولبَّوا دعوته؛ لما لمسوا منّه من حماسةٍ ونجدةٍ لنُصرة الحقِّ و مُحاربة الظُّلم والفساد والاستبداد، والخشية مِنْ أُفول نجم الإسلام الغضِّ الطريِّ بسبب ما تُنذرُ به الأحوالُ والظروفُ للحكم القائم آنذاك.

لقدْ كان هذا الرَّجل متلقِّياً جيِّداً استوعب وفهم كتاب الإمام عليه السلام المشتمل على خطابٍ واسع المعاني عميق الدَّلالة، وإنْ كان مختصراً موجزاً في ألفاظه وعباراته، فلمّا فضَّه وأدرك ما فيه، اتَّبع الهدى، وسارَ في طريقه، وأعرض عن طريق الضَّلال، وأوصد بابه، فحمله ذلك على إبلاغ قومه متَّبعاً وسائل الإقناع، وطرق الاحتجاج، بأُسلوبٍ رصينٍ وبيِّنٍ وواضحٍ. احتوى هذا الخطاب كلام

يزيد بن مسعود النهشليّ والرُّدود من أقوامه، وكذلك ردَّه جواباً على كتاب الإمام الحسين عليه السلام.

وأردنا أنْ نقف على ما جاء في خطابه من دلالاتٍ ومعانٍ، وعلى الجانب البيانيّ في تعبيره الذي يحمل إثارةً في نفوس متلقِّيه، واستقباله منه، ومِن ثَمَّ استجابتهم له؛ إذ نلمح في خطابه تلويناً أُسلوبيّاً حجاجيّاً يحمل مستوىً لغويّاً عالياً، وهو يُعبِّئ قومه من أجل اللُّحوق بالإمام الحسين عليه السلام، ونصرته التي هي نصرة للحقِّ والإسلام، وقدْ بدا فيه متحمِّساً؛ لذا جاء كلامه متناغماً مع نفوس القوم، فجاء ردُّهم بأحسن الكلام وأبلغه، مستجيبين لدعوة زعيمهم، وقدْ وجدتُ في هذا الخطاب بين الطرفين أُسساً فنيّة تؤهِّله لأنْ يكونَ في عداد النثر الفنِّيِّ البليغ، وأنْ يُعدَّ نصّاً أدبيّاً مكتنزاً يزخر بالمعاني والدَّلالات، ويمكن أنْ يُوجَّه وَفق الدِّراسات الحِجاجيّة الحديثة، لما فيه من وسائل إقناع إبلاغيّة وتوصيليّة وإنجازيّة للكلام، وهذا ما سوف نقف عنده من خلال تحليلنا لهذا النَّصِّ المهمّ. والحمد لله ربِّ العالمينَ.

Abstract

Yazeed bin Mas'ood is one of the noblemen of Basra who have received Imam Hussain's letters brought by Sulaiman abu Razeen, one of his supporters. Sulaiman was later on killed by Ubaydellah bin Ziyad as a result of that. The letter was sent by Imam Hussain while staying in Mecca to Basra dignitaries calling them to support him. The man's response to Imam Hussain's call has been highly appreciated. He has talked directly to a number of Basra tribes including Bani Tameem, Bani Handhala, Bani Sa'ad, and Bani Aamer. Influenced by his address, they responded positively to his call due to his enthusiasm and bravery in supporting right and combating oppression and despotism.

Yazeed bin Mas'ood has already responded well and understood the letter sent by Imam Ali (PBUH). That letter included a highly meaningful and semantically deep

discourse, though it was brief as a text. He chose to follow the right path and kept himself away from aberration. He adopted the same attitude in his response to Imam Hussain's letter.

This paper is an attempt to study the content of bin Mas'ood's address highlighting its semantic features and eloquence. He used a highly effective style to mobilize his people to stand by Imam Hussain. With his well-spoken address he could attract the attention of his tribesmen. The text of the address is, no doubt, a fine artistic piece filled with rich language. It has also rhetorical and communicative features that make it a successful means of persuation.

مقدّمة

يزيد بن مسعود، النهشليُّ، البصريُّ، يكنّى أبو خالد، واحدٌ من أشراف البصرة الذين خصَّهم الإمام الحسين عليه السلام بكتابه الذي أرسله مع مولىً له يسمَّى (سليمان، أبو رزين)، وقدْ قتله عبيد الله بن زياد على أثر ذلك. وقدْ وجَّه الإمام الحسين عليه السلام كتابه هذا من مكَّة إلى رؤساء الأخماس في البصرة يدعوهم إلى نصرته[1].

لقدْ سجَّل التاريخ موقفاً مشرِّفاً لهذا الرَّجل لتلبية دعوة الإمام الحسين عليه السلام واستجابته له بعدما خطب قومه في البصرة ممّن كانوا تحت لوائه، وهم: بنو تميم، وبنو حنظلة، وبنو سعد، وبنو عامر، فأثَّر خطابه فيهم، فأجابوه، وَلبَّوا دعوته؛ لما لمسوا منه من حماسةٍ ونجدةٍ لنصرة الحقِّ، ومحاربة الظلم والفساد والاستبداد، والخشية من أُفول نجم الإسلام الغضِّ الطّريِّ بسبب ما تُنذر به الأحوال والظروف للحكم القائم آنذاك[2].

كان هذا الرَّجل متلقِّياً جيِّداً، استوعب وفهم كتاب الإمام الحسين عليه السلام، الذي اشتمل على خطابٍ واسعِ المعاني عميقِ الدَّلالة، وإنْ كان مختصراً وموجزاً في عباراته وألفاظه، ولمّا فضَّه وأدرك ما فيه، اتَّبع الهدى، وسار في طريقه، وأعرض عن طريق الضَّلالة، وأوصدَ بابَه، وحمله ذلك على إبلاغ قومه، متَّبعاً

وسائل الإقناع، وطرق الاحتجاج، بأُسلوبٍ بيِّنٍ واضحٍ.

احتوى هذا الخطاب كلامَ يزيد بن مسعود النهشليّ والرّدود من أقوامه، وكذلك ردّه جواباً على كتاب الإمام الحسين عليه السلام، وقد أردنا أنْ نقف على ما جاء في خطابه من دلالاتٍ ومعانٍ، ونكشف عن الجانب البيانيّ في تعبيره الذي يحمل إثارة في نفوس متلقِّيه واستقباله منه، ومن ثمَّ استجابتهم له؛ إذ نلمح في خطابه هذا تلويناً أُسلوبيّاً حجاجيّاً يحمل مستوىً لغويّاً عالياً، وهو يعبِّئُ قومه من أجل اللُّحوق بالإمام الحسين عليه السلام ونصرته، التي هي نصرةٌ للحقِّ والإسلام، وقدْ بدأ فيه متحمِّساً لذلك؛ لذا جاء متناغماً مع نفوس القوم.

إنَّ هذا النَّصَّ الذي سوف نثبته بكامله في البحث سنحاول تحليل بنياته، وأبرز دلالاته ومعانيه؛ إذْ نلمس في خطابه كلاماً متناغماً مع نفوس القوم، يدلّ على ذلك ردُّهم وجوابهم الذي تصدَّر بأحسن كلام، وأبلغ بيان، مستجيبين لدعوة زعيمهم.

يستندُ هذا الخطاب الذي دارَ بين الأطراف المتحاورة إلى أُسسٍ فنِّيَّة تؤهِّله لأنْ يكونَ في عِدادِ النَّثر الفنِّيِّ البليغ، ونصَّاً أدبيَّاً مكتنَزاً بالمعاني، ويُمكنُ أنْ يوجَّه على وَفق الدِّراسات الحجاجيَّة الحديثة، لما فيه من وسائل للإقناع والإبلاغ والاستدلال، وعوامل للإبلاغ والتوصيل وإنجاز الكلام، وهو ما تدورُ عليه الدِّراسات الحديثة في تحليل الخطاب، وبيان مستوى بلاغته، وهذا ما سوف نقفُ عنده من خلال تحليلنا لهذا النَّصِّ المهمِّ.

لما كانَ بحثنا يدور في تحليل نصٍّ يُخاطب فيه صاحبه جماعة، هم من أبناء جِلْدته، يحثُّهم على قضيَّةٍ مهمَّةٍ، وهي خوض غمار الحرب وركوب أمواجها؛ لذا

فهو يبذل أقصى ما يستطيع أنْ يعبِّر به من وسائل إقناع لمتلقِّيه. وبهذا، فالبحث يتَّسم بطابع المحاججة التي من وسائلها إبلاغ الكلام وتوصيله.

انتظم البحث بمقدَّمة ذكرنا فيها أهمِّيَّة النَّصِّ الذي درسناه، ونوع الدِّراسة، ومهَّدنا لموضوع بحثنا بإطلالة يسيرة ومختصرة عن مفهوم الحِجاج والمحاججة، وترجمة قصيرة عن صاحب الكتاب، وأثبتنا النَّصَّ المدروس، وقد اعتمدنا في دراسته على طبعتين، الأُولى: طبعة الشَّيخ فارس تبريزيان الحسَّون، وهي طبعة محقَّقة، والثَّانية: طبعة الأعلميّ.

تمهيد

١- مفهومُ الحِجَاجِ

يُمكن أنْ نوضِّح شيئاً يسيراً عن مفهوم الحِجاج في اللُّغة، والاستعمال القرآنيّ الكريم، وعند أهل العلم.

يذهب أهل اللُّغة في معنى الحجَّة والمحاججة إلى التخاصم بين الطرفين، وما يكون للظَّفر فيها، وتُجمَعُ على(حِجج وحِجاج)[٣]، وتكون الحجَّة مصحوبة بالغَلَبة في الخصومة، وأشاروا إلى الجدل والبرهان فيها، وربطَ اللُّغويُّونَ بينها وبين بعض مشتقَّاتها، كالحجِّ الذي يعني القصد والوصول إلى الشَّيء، فكذلك الحجَّة يُقصد بها الحقّ المطلوب[٤].

فالحِجاج وإنْ كان يمثِّل نظريّة حداثويّة، لكنّه مفهوم عرفته العربيّة، ووقف عنده علماؤها من أهل اللُّغة، وعَبَّر عنه القرآن الكريم من خلال استعمالاته وأساليبه الرَّصينة، ومن هذا فهو أصيلٌ في لُغتنا.

وورد لفظ الحجَّة والمحاجَّة في الاستعمال القرآنيّ بمعنى المجادلة، كما في قوله تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾[الأنعام: ٧٤]، عن ابن عبّاس: «جادلوه في آلتهم، وخوَّفوه بها»[٥].

أشار الزركشيُّ إلى الأُسلوب الحِجاجيِّ في القرآن الكريم، القائم على اليسر

والسُّهولة، والبعيد عن التعقيد والإغراب، كما هو الحال عند المناطقة والمتكلِّمينَ، وقد اشتمل على البراهين والأدلَّة العقليَّة، فنطق بها، وساقها على عادة العرب في كلامها؛ لأنَّ الرَّسول ﷺ عربيٌّ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤][٦].

يذهبُ عبد الله صولة إلى مناقشة الحِجاج عند القدماء والمحدثينَ، مبيِّناً أنَّ القدماء وبعض المحدثين قدْ جعلوه مرادفاً للجدل؛ للعلاقة بينه وبين المذهب الكلاميّ، ويرى أنَّ هذا يجعل دائرة الحِجاج ضيِّقة، ويحصره في الصِّناعة المنطقيَّة، وهو أوسع من الجدل، وبيَّنَ أنَّ القرآنَ الكريمَ لم يقع كلُّه أو معظمه في مفهوم الحِجاج المرادف للجدل، أو المذهب الكلاميّ[٧].

ويرى (بيرلمان) أنَّ نظريّة المحاجَّة ونظريَّة البُرهان هما «دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بإثارة تأييد الأشخاص للفروض التي تقدَّم لهم، أو تعزيز هذا التأييد على تنوّع كثافته»[٨]. يُريد أنْ يبيّن من هذا قيمة الخطاب، وما يكتنزه من ثراء بلاغيّ، وقيمة جماليَّة؛ لأنَّ البلاغة تدخل في باب الحجاج الإقناعيّ[٩].

يتطلَّب عمل التخاطب عناصر ثلاثة، هي: (المتكلِّم، والمخاطب، وموضوع الكلام)، ويُعدُّ المتكلِّم، أو ما يُطلق عليه (الباثّ)، والمتلقِّي عنصرين مهمَّين في هذه الممارسة الكلاميَّة، في أيِّ خطابٍ حجاجيٍّ. وأنْ يراعي المتكلِّم فيما يطرح استعداد الطرف الثاني، وهو المتلقِّي من حيث قناعته بما يستقبله، ممّا يخلق بينهما تواصلاً حجاجيّاً[١٠].

إنَّ النُّصوص والخطابات ذات الأثر الحجاجيّ الغني تنطوي على مثيرات ووسائل إبلاغ تولِّد في نفس المتلقِّي قناعةً وقبولاً، وهذا ما يظهر في تراثنا العربيّ

من خطب البلغاء والفصحاء والمتكلِّمينَ.

٢- حياةُ صاحبِ النَّصِّ (يزيد بن مسعود، النَّهشليِّ)

ذكره الطبريُّ في حوادث سنة خمسين من الهجرة المباركة في حادثة هجاء الشَّاعر الفرزدق بني نهشل وبني فقيم، فذكر أنَّ صاحب السِّيرة (يزيد بن مسعود)، ممّن استعدى عليه والي البصرة مع قومه، وأورد اسمه كاملاً، ما يدلُّ على أنَّه ينتسب إلى نهشل، جاء عنه: «أنَّ يزيد بن مسعود بن خالد بن مالك ابن ربعي بن سلمى بن جندل بن نهشل، استعدى أيضاً عليه»[١١]، وتنتسب هذه القبيلة إلى «نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، بطن كبيرمن تميم يُنسب إليه جمع كثير، منهم: أبو غسَّان مالك بن سليمان، النَّهشليُّ»[١٢]. ويظهر من نسبة هذا الرَّجل المنتهية إلى بني نهشل التميميَّة، أنّه أخٌ لزوج أمير المؤمنين عليه السلام، الذي ذكر زواجه منها الطبريّ في قوله: «وتزوَّج ليلى ابنة مسعود بن خالد بن مالك بن سلمى بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك بن زيد مناة بن تميم»[١٣]، وأوردَ الطبريُّ -أيضاً- أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قدْ أنجب منها (عبد الله، وأبا بكر)، واستُشهدا معَ أخيهما الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطفِّ، وقيل: إنّ أبا بكر هو الذي استُشهد في كربلاء[١٤]. ومِنَ الَّذين ذكروا موقف(يزيد بن مسعود النهشليِّ) من كتاب الإمام الحسين عليه السلام، وجوابه له بعدما استنفر قومَه وعبَّأهم لنصرة الإمام عليه السلام، هو السَّيِّد ابن طاووس المتوفَّى سنة(٦٦٤هـ)[١٥].

ويتمتَّع (يزيد بن مسعود النهشليُّ) بمكانةٍ مرموقةٍ بين قومه، ويُعدُّ من وجهاء القوم وعليتِهم، وهو سيِّد بني نهشل، ما دعا الإمام الحسين عليه السلام إلى مراسلته

ودعوته، وزادتْ من ذلك مصاهرة هذا البيت أميرَ المؤمنينَ عليه السلام، ما يدلُّ على أنَّه بيت حسبٍ وشرفٍ لمعرفته بهم(١٦).

٣. النَّصُّ المدروسُ

وردَ هذا النصُّ المهمُّ في أحد المصادر المهمَّة التي أوردتْ خبر حادثة كربلاء المتمثِّلة بمقتل الإمام الحسين عليه السلام ومصارع أهل بيته وأصحابه وسبي عيالاته، للسَّيِّد ابن طاووس الحسينيّ، المتوفّى (٦٦٤هـ)، المسمَّى بـ (الملهوف في قتلى الطفوف)، قال السَّيِّد ابن طاووس: «وكان الحسين عليه السلام قد كتب إلى جماعةٍ من أشراف البصرة كتاباً مع مولىً له اسمه سليمان، ويكنّى أبا رزين، يدعوهم إلى نُصرته ولزوم طاعته، منهم يزيد بن مسعود النهشليّ، والمنذر بن الجارود العبديّ، فجمع يزيد بن مسعود بني تميم وبني حنظلة وبني سعد، فلمّا حضروا قال: «**يا بني تميم، كيف ترونَ موضعي منكم وحسبي فيكم؟**(١٧)، فقالوا: بخٍ بخٍ! أنتَ -والله- فِقْرةُ الظَّهر، ورأسُ الفخر، حللتَ في الشَّرف وسطاً، وتقدَّمتَ فيه فَرَطاً.

قال: **فإنِّي قدْ جمعتُكم لأمرٍ أُريد أنْ أُشاوركم فيه وأستعينُ بكم عليه**، فقالوا: والله إنّا نمنحك النصيحة، ونجهد لك الرأي، فقُل نسمع.

فقال: **إنَّ معاوية ماتَ، فأهوِن به -والله- هالكاً ومفقوداً! ألَا وإنّه قدْ انكسرَ بابُ الجور والإثم، وتضعضعتْ أركانُ الظُّلم، وقدْ كانَ أحدثَ بيعةً عقد بها أمراً، وظنَّ أنَّه قدْ أحكمه، وهيهات والذي أراد، اجتهد -والله- ففشل، وشاور، فخُذِل، وقدْ قام ابنه يزيد شارب الخمور، ورأس الفجور، يدَّعي الخلافة على**

المسلمين، ويتأمَّر عليهم بغير رضىً منهم، مع قِصَر حلمٍ، وقلَّةِ علمٍ، لا يعرف من الحقِّ موطئَ قدمِه، فأُقسم بالله قسماً مبروراً لجَهادُه على الدِّين أفضل من جهاد المسلمينَ، وهذا الحسين بن عليٍّ ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ذو الشَّرف الأصيل، والرَّأي الأثيل، لهُ فضلٌ لا يُوصف، وعلمٌ لا ينزف، وهو أَولى بهذا الأمر؛ لسابقته، وسِنِّه، وقِدمه، وقرابته، يعطفُ على الصَّغير، ويحنُو على الكبير، فأكرِمْ بهِ راعي رعيَّة، وإمامَ قومٍ وجبت لله به الحجَّة، وبلغتْ به الموعظة! فلا تعشوا على نور الحقِّ، ولا تَسكَّعوا في وَهدة الباطل، فقدْ كانَ صَخْر بن قيس انخذلَ بكم يوم الجمل، فاغسلُوهَا بخروجكم إلى ابن(رسول الله صلى الله عليه وآله) ونصرته. والله لا يقصِّرُ أحدٌ عن نصرته إلّا أورَثه الله الذُّلَّ في ولده، والقلَّة في عشيرته، وها أنا ذا قدْ لبستُ للحرب لامتها، وادَّرعتُ لها بدرعِها، مَنْ لَمْ يُقتَلْ يمُت، ومَنْ يهربْ لم يفُتْ، فأحسِنُوا-رحمكم اللهُ- ردَّ الجواب[١٨].

فتكلَّمت بنو حنظلة، فقالوا: «يا أبا خالد، نحن نبلُ كنانتِك، وفارس[١٩] عشيرتك، إنْ رميتَ بنا أصبتَ، وإنْ غزوتَ بنا فتحتَ، لا تخوضُ -والله- غمرةً إلّا خُضناها، ولا تلقى-والله- شدَّةً إلّا لقيناها، ننصرُك بأسيافنا، ونقيك بأبداننا، فانهضْ لما شئتَ»[٢٠].

وتكلَّمت بنو سعدِ بن زيدٍ، فقالوا: «يا أبا خالد، إنَّ أبغض الأشياء إلينا خلافُك والخروج عن رأيك، وقدْ كانَ صَخْرُ بن قيسٍ أمرنا بترك القِتال، فحمِدنا أمرنا، وبقيَ عزُّنا فينا، فأمْهِلنا نُراجع المشوَرة، ونأتيك برأينا.

وتكلَّمت بنو عامر بن تميم، فقالوا: يا أبا خالد، نحن بنو أبيك وحلفاؤك، لا نرضى إنْ غضبتَ، ولا نقطنُ إنْ ضعنتَ[٢١]، والأمر إليك، فادعُنا نُجِبك،

وأمُرنا نُطعك، والأمرُ إليك إذا شئتَ. فقال: والله يا بني سعد، لئن فعلتموها لا يرفعُ الله السَّيف عنكم أبداً، ولا يزال سيفُكم فيكم.

ثمَّ كتبَ إلى الحسين عليه السلام:

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

أمَّا بعدُ، فقدْ وَصَل إليَّ كتابُك، وفهمتُ ما ندبتني إليه، ودعوتني له من الأخذِ بحظِّي مِن طاعتك، والفوز بنصيبي مِن نُصرتك، وإنَّ الله لم يُخل الأرض قطُّ مِن عاملٍ عليها بخيرٍ، أو دليلٍ على سبيل نجاة، وأنتم حجَّةُ الله على خلقه، ووديعتُهُ في أرضِهِ، تفرَّعتُم من زيتونةٍ أحمديَّةٍ، هو أصلُهَا، وأنتُم فرعُها، فأقدِم سُعِدتَ بأسعدِ طائرٍ، فقدْ ذلَّلتُ لك أعناق بني تميم، وتركتُهم أشدَّ تتابعاً لك من الإبل الظِّماء يوم خمسها لورود الماء، وقدْ ذلَّلتُ لك بني سعد، وغسلتُ لكَ دَرَنَ صدورها بماءِ سحابةِ مزنٍ حين استهلَّ برقُهَا فَلَمَعَ.

فلمّا قرأ الحسينُ عليه السلام الكتاب، قال: آمنكَ[٢٢] اللهُ يومَ الخوفِ، وأعزَّكَ، وأرواكَ يومَ العطشِ الأكبرِ»[٢٣]

بعدما جمع أقوام أهل البصرة برؤوسها ووجهائها من أجل هذا الأمر، بدأ خطابه بنداء أكبر قبيلة في البصرة، وهي قبلية تميم، مستعيناً بمؤثِّرٍ ومحفِّزٍ ودافعٍ لهم من استعماله أُسلوب الاستفهام التقريريّ، إضافة إلى النِّداء الذي بدأ كلامه به، وهو قوله: «يا بني تميم، كيف ترونَ موضعي منكم، وحسبي فيكم؟» أراد من خلال هذا الكلام أنْ يقرِّر ما هو ثابت في نفوس القوم مِن علوِّ منزلته، وشرف مكانته فيهم، لكي يضمن إبلاغ خطابه لهم، ويشكِّل هذا مؤكِّداً حجاجيّاً في الكلام، يجعل المخاطب متلقِّياً وسامعاً واعياً للقول.

يذكرُ أحد الدَّارسينَ أنَّ الاستفهام الذي يحقِّق معنى التقرير في الكلام، إنَّما يعمل على توكيد الحدث والموقف، ومثَّلَ لذلك بعددٍ من الآيات الكريمة، نحو: ﴿هَلْ أَتَى﴾ و﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾، يعني: قدْ أتى، وإنَّا شرحناه، وهو بهذا يحقِّق «إثارة للعِبرة، ولفتاً للانتباه، وتوجيهاً للرؤية»[٢٤]، والاستفهام استخبار يحقِّق علاقة تخاطبيّة قائمة بين شيئين، هما: الاستفهام، والجواب، يرى فيه الدَّارسونَ «قوَّة من القوى الدَّافعة لحركة التخاطب»[٢٥]. وهذا أُسلوب عريق في العربيّة، نلمح فيه الجانب التهذيبيّ والأدبيّ، وإنزال المخاطب المنزلة المستحقَّة، وإشراكه في الخطاب والاستماع إلى رأيه؛ لأنَّه هو المعنيُّ بالكلام الموجَّه، وإشعاره بمكانته لدى المخاطب، ولا يأتي المخاطب بهذا الأُسلوب من الاستفهام إلَّا إذا كان ذا ثقةٍ عاليةٍ بنفسه، واطمئنانٍ كبيرٍ في رسالته التي يُوصلها، فإذا كانَ على غير ذلكَ، فلا يُمكن أنْ يفتح باباً وثغرة على نفسه، فتنقلب مثلبةً عليه، وتكون سبّةً له؛ لأنّه من خلال هذا ينبِّه المخاطَب إلى فكرةٍ لعلَّها غير حاضرةٍ عنده، ولكنَّه لمّا كان صادقاً ومحقّاً فيما يقول، عمد إلى إلقاء ما سيجيبونه عليه، وقدْ دأبَ القرآنُ الكريمُ إلى مِثل هذا التقرير في الاستفهام، ومِن ذلك مافُسِّر من قوله تعالى: ﴿أَئِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُف﴾ [يوسف: ٩٠]، «والمعنى المقرَّر هو كون المخاطب بالاستفهام هو يوسف»، وكذلك ما ورد في قوله تعالى ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الجاثية: ٣١]»[٢٦].

وكذلكَ الحديث الشَّريف عن النّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم مستفهماً عن حقيقة ثابتة في شخصه الكريم، ليقرِّر شيئاً ثابتاً في نفوس متلقِّيه من المسلمينَ، جاعلاً من حديثه الشَّريف مقدِّمة لتكون حجَّةً لازمةً عليهم، وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدير خمٍّ:

«**ألستُ أولى بالمؤمنينَ من أنفسهم، وأزواجي أُمَّهاتهم؟** فقلنا: بلى يا رسول الله. قال: **فمَن كنتُ مَولَاهُ، فعليٌّ مَولَاهُ، اللَّهمَّ والِ مَن والَاهُ، وعادِ مَن عَادَاهُ**»(٢٧)، وكذلك ورد الاستفهام التقريريّ في كلام السِّبط الشَّهيد الإمام الحسين عليه السلام مخاطباً القوم، وهو كلام يُقرِّونَ به، ولا يستطيعونَ أنْ يُنكروه عليه: «**ألستُ ابنَ بنتِ نبيِّكم صلَّى الله عليه وسلَّم، وابنَ وصيِّه، وابنِ عمِّه، وأوَّلِ المؤمنينَ بالله والمصدِّقِ لرسولِهِ بما جاءَ بهِ مِن عندِ ربِّه، أوَ ليسَ حمزةُ سيِّدُ الشُّهداء عمَّ أبي، أوليسَ جعفرٌ الشَّهيدُ الطيّارُ ذو الجناحين عمِّي، أوَلم يبلغكم قولٌ مستفيضٌ فيكم: أنَّ رسولَ الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم قال لي ولأخي: هذان سيِّدا شبابِ أهل الجنَّة**»(٢٨).

ولمّا كان هذا الرَّجل يمثِّل زعامةً من زعامات البصرة، ورأساً من رؤوسها، فقدْ ناشدهم من هذا الموضع، والمكانة التي يتمتَّع بها، ولا شكَّ في أنَّ الذي يسودُ قومَه يتمتَّع بحصافة الرَّأي، وسعة الوعي والإدراك، والحلم والأناة، وبُعدٍ في النظر والبصيرة، وشجاعةٍ وإقدامٍ، وحِنكةٍ في معالجة الأُمور ومواجهة الأزمات، وحلِّ ما انعقدَ منها.

جاء استفهامه بأداة الاستفهام (كيف) لبيان الهيأة والحال؛ إذ إنَّه قد استجوبهم لبيان حال مكانته ومنزلته التي هو عليها؛ لذا جاء باسم المكان (موضع) من قوله (موضعي) وهو (مَفْعَل) مضافاً إلى ياء المتكلِّم، جاعلاً اسم المكان منسوباً إليه وحده ليبرزوه ويميِّزوه مِن بينهم، وممّا يدلُّ على مناسبة استفهامه عن المكانة والموضع الذي هو فيهما، اقترانه بما بعده من الجارِّ والمجرور، فعلى الرِّواية التي جاء عليها قوله: «ألَا ترونَ موضعِي منكم، وحَسَبي فيكم»، أراد المتكلِّم أنْ

يشيد بمكانته العالية التي ينطلق فيها مِن أرومتِهِ العربيَّة في قومه الكرام؛ لأنَّ حرف الجرِّ يدلُّ على ابتداء الغاية الزّمانيّة والمكانيّة، كما في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيلاً مِنَ المسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المسْجِدِ الأَقْصَى﴾[الإسراء: ١]، فهنا للابتداء في المكان، ويُريدُ صاحب الخطاب أنْ يربطَ نفسه بقومه؛ لأنّه يرى أنَّ عزَّته ورفعته يحوزها بهم، وهذا فنٌّ للإقناع والتأثير أراد من خلاله أنْ يبيِّن عدم الفصل والانقطاع، ورفع الحواجز بينه وبينهم.

أمَّا الطَّرف الثَّاني في قوله من هذه الرِّواية: «وحَسَبي فيكم»، فهي -أيضاً- تتَّصلُ بكلامه الأَوَّل، وهو انحداره مِن سُلالة الكرام؛ إذ إنَّه أراد الامتداد الزمنيَّ والاتِّساع المكانيَّ، وكأنَّ (في) الجارَّة هنا وردتْ على أَصلها، وهي دلالتها على الظرفيَّة المكانيَّة، أو الزَّمانيَّة تجوّزاً، فحسبه قدْ قطَع مساحةً واسعةً من الأصالة؛ لأنَّه عربيٌّ صميمٌ؛ ومِن ثمَّ فإنَّ خطابه المباشَر لهم بهذه المعاني تعود عليهم بالمدح والثَّناء والرفعة، ما يعزِّز موقف المتكلِّم؛ لأنَّ هذه وقائع وحقائق تعضد كلامه، وتُعلي من معناه، وهي من طرق الخطاب الحجاجيِّ.

وفي مستهلِّ كلامه هذا قدْ تعاضدت الأساليب بالاستفهام الذي تقدَّم الكلام عنه، والنِّداء الذي ورد في كلامه، وهو يخاطبُ قومه: «يا بني تميم...»، الذي تكمن وراءه دلالات، فقدْ عدَّ سيبويه النِّداء للمُقبل من باب التوكيد، يقول: «تقول للذي هو مقبلٌ عليه بوجهه، مستمعٌ، منصتٌ لك: كذا كان الأمر، يا أبا فلان، توكيداً»[٢٩]، وتتجلَّ قيمة النِّداء في الخطاب؛ لأنَّه «متعلِّق بعلاقة المنادي بالمنادَى له على أنَّه ذو شأنٍ مرتفعٍ، وأنَّه من الأُمور التي يُنادَى لها، وينبَّه عليها، أو للإلحاح في طلب الإقبال للمنادى له حتّى كأنّه أمرٌ مغفولٌ عنه، أو

للمبالغة في الإلحاح»[٣٠].

ثمَّ عمد إلى العطف؛ ليتَّسع له مجال أكبر في جوابهم من المدح والثَّناء والاعتبار له، وقدْ جاء في روايةٍ أُخرى قوله: «وحَسَبي منكم»، وقدْ فرَّق في العبارتين؛ إذْ قرن الموضع بحرف الجرِّ (في)، والحسب بحرف الجرِّ (مِن)، وقدْ وفِّق؛ لمناسبة (في) للموضع، أمَّا مناسبة (مِن) للحسب، فهي لا تخرج عن معنيين هنا، إمَّا لبيان الجنس، أي: بيان جنس حسبه مِن حيث أَصالته وأَرومته وانحداره من سلالة العرب، أو بمعنى (التبعيض)، أي: أنِّي بعضٌ منكم، ومِن قبيلتكم الأَصيلة العريقة.

لقدْ جاء كلامه عن المكانة والمنزلة بين قومه أوَّلاً مقدَّماً على المعطوف في قوله: «وحَسَبِي منكم»؛ ذلك أَنَّ المكانة والمنزلة والسِّيرة الحسنة أمرٌ محسوسٌ وملموسٌ وبادٍ للعين من خلال النَّظر في أَفعاله الظاهرة، ومواقفه المشرِّفة التي جعلتْ منه قائداً فذّاً، وفارساً شهْماً، أمَّا الحسب الشَّريف، فهو أيضاً يمثِّل قيمة عُليا، إلَّا أنَّه يحتاج إلى مَا يُعزِّزه من أفعال الإنسان التي يصنعُ مِن خلالها المجد والسُّؤدد.

جاء التعبير بالفعل المضارع من قوله: «كيف ترونَ»، فهو وإنْ كانَ يدلُّ على الزَّمن الحاضر والمستقبل، فإنّه لم يغفل دلالته على المضي من خلال السِّياق الذي ورد فيه، فهو فضلاً عمّا هو متحقِّق فيه ذلك، يُريد أنْ يُشير إلى الزمان المطلق؛ لأنَّ المجد الذي حقَّقه، والمكانة والمنزلة التي صنعها، لم تكن وليدة زمن معيَّن، بل هو مجد تليد وُلد في زمنٍ مضى، وسيبقى حاضراً ومستقبلاً.

ويرجع هذا إلى سعة العربيَّة في معانيها، وتوسّعها في طرق الاستعمال، وقدْ

تنبَّه ابن الأثير إلى دلالة الزمن المتعاقبة بين الأفعال، قال: «اعلم أنَّ الفعل المستقبل إذا أُتِيَ به في حالة الإخبار عن وجود الفعل، كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي؛ وذلك لأنَّ الفعل المستقبل يوضِّح الحال التي يقع فيها، ويستحضر تلك الصُّورة، حتّى كأنَّ السَّامع يشاهدها، وليس كذلك الفعل الماضي»[٣١].

وقدْ أنحى الدّكتور إبراهيم السّامرَّائيّ باللَّائمة على النّحاة الذين قصَروا الزمن في أفعال العربيّة على الجانب الشَّكليّ المقصور على الأبنية التي وضعت لها وهي: (فَعَلَ، ويفْعَلُ)؛ إذ إنّه يرى أنَّ للأفعال حقيقة زمنيّة غير ما وضعوها بها، قال: «وذلك أنّه ليس كلّ ما جاء على (فَعَلَ) أفاد المضي، وما جاء على (يَفْعل) أفاد الحال والاستقبال، ثمَّ إنَّهم بهذا التقسيم لم يهتمُّوا بدقائق الزّمان وعلاقة زمنٍ ما بآخر»[٣٢]، وذكَر في موضعٍ آخر خروج الفعل المضارع إلى المضيِّ بقرينة ترشِّحه إلى ذلك، مستشهِداً بالآية الكريمة ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاء اللهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١]»[٣٣].

اشتمل الخطاب في العبارة المتقدِّمة: «كيف ترونَ موضعي منكم، وحسبي فيكم؟» على (رأى) القلبيّة؛ لأنَّ الموضع والحسب المذكورين هما ليسا من الشيء المحسوس، بل إنَّهما شيئان يُدرَكانِ بالمعرفة والفِكر، لذا فـ (رأى) هنا قلبيَّة وليستْ بصريَّةً.

هذا ما كان في سؤاله رحمه الله، أمَّا جواب قومه، فكان جواباً مفلِجاً لصدره، مُقِرَّاً لعينه، وكان جواباً واحداً منهم، بدليل الفعل المسند إلى واو الجماعة (فقالوا)، وكان جواباً يدلُّ على الاستبشار والتأييد والارتياح من لفظهم: (بخٍ بخٍ)، وهو ما يدلُّ على الغِبطة له. وهذا ما حصل مع أمير المؤمنين الإمام عليٍّ عليه السلام حينما نُصِّبَ

وليّاً للمؤمنين في حادثة الغدير، والحديث المشهور، منصرفَ النبيِّ الأعظم ﷺ في حجَّة الوداع، بعدما ارتقى بأمير المؤمنين عليه السلام، وقال «**فَمَنْ كُنتُ مَولاهُ، فَعَلِيٌّ مَولَاهُ، اللَّهُمَّ والِ مَنْ والَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاه، وانصُرْ مَنْ نَصَرَه، واخذُلْ مَنْ خَذَلَه**»(٣٤)، فقال له عمر بن الخطَّاب: «بخٍ بخٍ لكَ يا بنَ أبي طالبٍ...»(٣٥).

وهذا جوابٌ قويٌّ مِن متلقِّي الخطاب، فيه التأييد المطلق، ويظهر أنَّ سؤاله المتقدِّم قدْ أثَّر فيهم، فأجابوه بكلامٍ بليغٍ؛ إذ كان هذا اللَّفظ (بخٍ بخٍ) مفتتحاً لجوابهم، فقدْ ساقوا بعده عبارات دالَّة على عُمق الولاء والتسليم والانقياد له والمسير وراءه، بقولهم: «أنتَ -والله- فِقْرةُ الظَّهر، ورأسُ الفَخْر، حللتَ في الشَّرف وَسطاً، وتقدَّمتَ فيه فَرَطاً».

يظهر المتلقِّي في هذا الكلام أنّه واعٍ ومدرك لما قدَّمه الخطيب، فهم قدْ وضعوا زعيمهم الموضع الذي تبوَّأه فيهم من المكانة الرَّفيعة العالية، وجعلوه في الحسب الشَّريف، جاء ذلك بجملة من آليَّات التوصيل، وإنجاز الكلام المقنع المؤثِّر، فقدْ أكَّدوا كلامهم بالجملة الاسميّة الدَّالَّة على الثبات والاستقرار من قولهم: «أنتَ -والله- فِقْرةُ الظَّهر...».

ويبيِّن أحد الدَّارسينَ المحدَثينَ بعض الخصائص في الجملة الاسميَّة، بقوله: «فهي عبارة عن موازنة... تحصل بين المسند إليه والمسند، فتُبرز التماثل التامَّ بين هذا وذاك، والمسند في هذه الحالة يمثِّل ناحية من ذات المسند إليه، وهذا ما يؤهِّله للتعبير عن الحقائق العامَّة، والمبادئ القارَّة، ويجعلها ملائمة للحِكَم والأمثال، ويفسِّر استعمالها للاحتجاج، وتقديم الأدلَّة، لا لسرد الأخبار، واستعراض الأحداث»(٣٦).

إنَّ استعمال المتكلِّم الضمائر كما جاءَ في القول السّابق، فيه إحالات إشاريَّة منحت الكلام قوَّةً وتأكيداً، ما يدلُّ على حضور ما يرجع إليه الضمير، فيؤدِّي دوراً مهمّاً في حدوث التَّخاطب بين المخاطب والمتلقِّي(٣٧)، فضلًا عن المؤكِّدات الأُخرى، وهو القَسَم بالاسم الجليل (الله)، الذي فصل بين المبتدأ والخبر في قولهم: «أنتَ-والله-...»، وهو من مؤكِّدات الكلام، ولم يكتفوا بذلك، بل إنَّهم عضدوا قولهم بالعطف؛ ليزيدوا في علوِّ زعيمهم، وسمَّوه، فقالوا: «ورأس الفَخر».

لقدْ جاء جوابهم مفعَماً بالمعاني والصُّور البديعة، ولم يكنْ كلاماً مباشَراً، يدلُّ على ذلك من خلال الاستعمالات المجازيّة، و ما تحمله من معانٍ عميقةٍ، فقدْ ساقوا كلامهم بعبارات منتقاة تدلُّ على صفات ما يحمله المخاطب، فقولهم: «أنتَ-والله- فِقْرة الظَّهر، ورأسُ الفَخْر» تخرج إلى أغراضٍ بلاغيَّة، ففي هاتين العبارتين استعارةٌ صوَّرتْهُ وأظهرتْهُ بمظهر القوَّة والمنَعَة، والمكانة العالية الرَّفيعة؛ إذْ إنَّهم جعلوه فِقْرةَ الظَّهر؛ لأنَّ فِقَر الظَّهر هي الأساس الذي يرتكز عليه الجسم، ثمّ استعمل الرَّأس للفخر؛ لأنَّ الرَّأس قمّة الشيء وذروته، فهو في القوَّة والشّموخ والمنعة كفِقَر الظَّهر، وفي الفخر قمّة شامخة كالرَّأس، ثمَّ أردفوه قولهم: «حللتَ في الشَّرفِ وَسَطاً، وتقدَّمتَ فيهِ فَرَطاً»، أرادوا بيانَ حال المخاطب من حيث شرفه في النَّسب والأصل العريق، ففي أَوَّل العِبارة استعمل كلمة (وَسَطاً)؛ لأنَّ الوسط أثبت في الأشياء وأمتن وأقوى؛ ولأنَّه المركز، فلا ينفذ إليه بسهولة، وهو موضع المدح والثَّناء في كلِّ شيءٍ، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[البقرة: ١٤٣]، وقيل:

(خير الأُمور أوسطها). ويُمكن أنْ نلحَظ دقَّةَ الاستعمال في اختيار الأفعال التي اقترنتْ فيها الأسماء الدَّالَّة على الحال (وَسَطا، فَرَطاً)، فقدْ آثر المتكلِّم هنا استعمال الفعل (حللتَ) من دون غيره من الأفعال المقاربة له في المعنى، مثل: (سكنتَ، أو نزلتَ)؛ لأنَّ الفعل (حلَّ) يحمل معنىً لم تحمِلْه الأفعال الأُخَر في هذا المقام؛ إذ إنَّه يدلُّ على التمكُّن في الإحلال، ويتحقَّق اطمئنان الآخر إليه من دون أنْ يرتاب فيه، والأصل فيه: «مِن حَلِّ الأحمال عند النّزول، ثمَّ جُرِّد استعماله للنّزول، فقيل: حلَّ حلولاً...»[٣٨]، يظهر مما تقدَّم من النَّصِّ أنَّ الفعل (حلَّ) يعني التمكُّن من الإحلال، بدليل أنَّ المرتحل أو المسافر حينما يحلُّ أحماله وأمتعته في مكانٍ ما، فهو قد تمكَّن من النّزول والاستقرار والثَّبات فيه، ولمّا كان هذا الشَّرف عالياً ومفرطاً استعمل معه الفعل (تقدَّم)، من قوله: «وتقدَّمتَ فيه فَرَطاً»، ولم يقل مثلاً: (سرتَ فيه فَرَطاً)؛ لأنَّ التقدُّم أبلغ وأكبر وأشمل، وهو غير الفعل (سار)؛ لأنَّ الثّاني يُستعمل لمن يسير ليلاً، قال أبو هلال: «والتقدُّم لفظٌ عامٌّ يكون في المكروه والمحبوب»[٣٩]، ونجد تلازماً في الاستعمال عند العرب بين الفعل (تقدَّم) ومادَّة (فَرَطَ)، قال الرَّاغب: «فَرَطَ: إذا تقدَّم تقدُّماً بالقصد يفرُط، ومنه الفارطِ إلى الماء، أي: المتقدِّم لإصلاح الدَّلو... وفَرَس فُرُط يسبق الخيل، والإفراط أنْ يُسرفَ في التقدُّم»[٤٠]، وجاء في اللِّسان «فَرَطَ: المتقدِّم السَّابق... وفَرَطَ القوم يفرطهم فَرطاً وفَرَاطة: تقدَّمهم إلى الورد لإصلاح الأشربة والدِّلاء...»[٤١]، «والفَرط: التقدُّم، أي: تقدَّمْ تقدُّماً، أو احذر فَرطك أي: تقدُّمك»[٤٢]، من خلال هذه النّصوص نتبيّن شدَّة التلازم بين اللَّفظين (تقدّم وفرط) في الاستعمال، ما يدلُّ على حُسن اختيار المتكلِّم للألفاظ وتناسبها

في وصف ممدوحهم بهذا الكلام.

إذا ما نظرنا إلى المناسبة الدَّقيقة في جواب القوم، وتطابقه مع سؤال الخطيب، سنجدُ كلاماً منسجماً ومتلائماً معه، يبرز ذلك من مقابلة العبارة الأُولى من قولهم: «أنتَ -والله- فِقْرةُ الظَّهر، ورأسُ الفَخْر»، فهذا منسجم مع الشِّقِّ الأوَّل من سؤاله، وهو قوله: «كيف ترون موضعي فيكم؟»؛ لأنَّه لّما كان يسأل عن سموِّ مكانته ومنزلته وزعامته بين قومه، جاء جوابهم بما يُناسب ذلك بما فيه من المعاني التي يحملها متمثِّلةً بالقوَّة والمنعَة والرِّفعة، والسِّيرة الحسَنة، ويقابل العبارة الثانية من سؤاله: «وحَسَبي فيكم» الشِّقُّ الثاني من جوابهم، وهو قولهم: «حَلَلتَ في الشَّرفِ وَسَطاً، وتقدَّمتَ فيه فَرَطاً»؛ لأنَّ الحسَب، والأصلَ الكريمَ، والأرومةَ العربيّةَ تُنعتُ بالشَّرفِ، ومنه ما يُطلق عليه بأشراف القوم، ويقال: الشَّريف فلان، أي: ذو أصلٍ شريفٍ، ينحدرُ مِن بيتٍ شريفٍ، وهكذا.

إنَّ هذا السُّؤال الذي يُعدُّ مفتاحاً ومقدِّمة ابتدأ به، أراد من خلاله أنْ يمهِّد لإبلاغ خطابه، ويجعله مؤثِّراً في متلقِّيه، وقدْ جاء هذا المفتتح موفَّقاً عند صاحب الخطاب؛ لأنّه كان واثقاً ومتيقِّناً ممّا كان يطرحه على قومه، وكان بارعاً في انتقاء ما يقدِّمه، ويدخل هذا في وسائلِ الحِجاج؛ لكونه عنصراً مؤثِّراً في المتلقِّي، فقدْ بيَّن أحد الدَّارسينَ أنَّ «من أبرز مظاهر كفاءة المحاجج منهجه في بناء خططه القوليّة، ورؤيته التي يؤسِّس عليها اختياراته في تقديم الفرضيّات والمقدّمات التي من حقِّها التقديم في مقام خاصٍّ، ومع جمهور بعينه؛ لأنَّ وحدات البداية هي أهمّ ما يقرع الأذهان المتلقِّية، ويحدِّد درجة القبول أو الرَّفض للتصوُّر المقدَّم»[٤٣]، وتُعدّ المقدَّمات المتمثِّلة في الوقائع والحقائق وسائل يتّبعها المتكلِّم

لتحقيق الإقناع، وكذلك وسائل للاستدلال يسوقها في خطابه[٤٤].

ما يزال الرّجل في مقدِّمة خطابه يومئ ويُلمح إلى القوم إلماحاً، ولم يصرِّح بما عنده مباشرة لكي يكسب الاطمئنان والتأييد منهم، ويدرك المتلقِّي من خلال ذلك أنّ وراء كلامه المغطّى غير الظاهر أمراً خطيراً؛ يفسِّر ذلك لفظ (الأمر) في خطابه من قوله: «فإنّي قدْ جمعتكم لأمرٍ أُريد أنْ أُشاوركم فيه، وأستعين بكم عليه»، في قوله المتقدِّم لمّا كان أوّل الأمر المشورة والمداولة بين الطرفين، قدّم فعل المشاورة على فعل الاستعانة بهم؛ لأنَّ الاستعانة بهم تعني القيام والخروج والمواجهة، وهي تالية لفعل المشاورة والمداولة، ويدلُّ الاسم (الأمر) على الشيء المهمِّ والخطير، وقدْ ذكر ذلك في القرآن الكريم في عددٍ من الآيات، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ* فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدُّخان: ٣، ٤]، وقوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وبسبب أهمِّيَّة الشيء وخطورته الذي جمعهم من أجله جاء لفظ الأمر في خطابه.

لم يستعمل المتكلِّم النَّزعة التسلطيَّة أو السُّلطويَّة بصفته زعيماً لعدد من القبائل، ولم يستعمل لغة التعالي والقهر والوعد والوعيد، بل مال في لغته إلى: الأناة والتوءدة في أدب التخاطب والحوار، واحترام الرّأي الآخر، فأنبَأ أنّه قدْ جمعهم ليشاورَهم، ويحاورَهم، ويستعينَ بهم على أمرٍ مهمٍّ. والقرآن الكريم خير مثالٍ يُقتدى به في أدب التخاطب، كما نجد في الآيات التي يخاطب فيها الأنبياء أقوامهم، فينادونهم بألفاظٍ محبَّبةٍ، فيها دعوة للقُربى والمودَّة والانتساب إليهم، نحو قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾[البقرة: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ [الأعراف: ٦١]، والآيات الكريمة في هذا الموضوع كثيرة،

ونجد الأنبياء في القرآن الكريم يتعرَّضون من أقوامهم إلى أنواعٍ من الشِّدَّة والقساوة، ولكنَّهم يُظهرون حلمهم وأناتهم معهم؛ لأنّهم يريدونَ صلاحهم بالدَّعوة إلى الله تعالى، أو إبداء النَّصيحة والإرشاد، ويعمدونَ إلى مشاورة أقوامهم في أمرٍ من أُمورهم(٤٥).

ولمّا كان أُسلوب صاحب النَّصِّ مرناً ينبعُ منه الصِّدق واليقين والوثوق بقضيَّته، فإنَّ قومه يجيبونه بمثل ما يقول، ويبادلونه بلطفٍ وتأدُّبٍ في الكلام، وهذا جوابهم: «فقالوا: والله، إنَّا نمنحك النَّصيحة، ونجهد لك الرَّأي، فقل نسمع»؛ إذ نجد خطاب القوم كان موافقاً وملائماً ودقيقاً، فكلُّ فِقْرة من جوابهم تقابل فِقْرة من خطابه، فقولهم: «والله، إنَّا نمنحك النَّصيحة، ونجهد لك الرَّأي»، تقابل كلامه في طلب المشورة منهم: «أُريدُ أنْ أشاورَكم..»؛ لأنَّ منح النَّصيحة وإعطاءها، وتقديم الرَّأي السَّديد من لوازم طلب المشورة، وفقرة: «وأستعينُ بكُمْ عليه» يُقابلها ويُلائمها ويتناسبُ معها تسليمهم وانقيادهم وإذعانهم له في قولهم: «فَقُلْ نَسْمَع»، وهذا الحوار بين الطَّرفين زاد النَّصَّ عُمقاً في المعنى والدَّلالة، وولَّد فيه بُعداً جماليَّاً كبيراً يدلُّ على تسليم القوم لزعيمهم وتأييدهم له، ويظهر ذلك -أيضاً- من خلال المؤكِّدات التي ترد في جوابهم، كما هو في استعمالهم حرف التوكيد الحرف المشبَّه بالفعل (إنَّ)، واتِّصاله بضمير الجماعة(نا) الذي يدلُّ على خطابهم المشترك ووحدة كلمتهم، وكذلك القَسَم بلفظ الجلالة، فضلاً عن الخطاب المباشَر من خلال تعدِّي الفعل المضارع (نمنحك) إلى كاف الخطاب، وهو من الإحالات التي تدلُّ على قوَّةٍ في الإبلاغ والتخاطب، وكذلك تعدِّي الفعل (نجهد) بالواسطة إلى كاف الخطاب، وهو فعل يأتي مرَّةً متعدِّياً

بنفسه، وأُخرى بواسطة حرف الجرِّ، وفي موضوع تعدية الفعل بشكل مباشَر، أي: التعدية من غير واسطة حرف الجرِّ- أشار الدّكتور فاخر الياسريّ إلى أنَّ ذلكَ يُشعرُ بـ «وقوع الحدث على المحدث له»، ويجعله واقعاً في حيِّزه، وأنَّه يزيد الكلام قوَّةً ووضوحاً[٤٦]، فضلًا عن انتقاء هذه الألفاظ واختيارها، وهي ذات معانٍ مقصودةٍ، فَهُم لم يقولوا: نعطيكَ النَّصيحة، ونقدِّم لك الرّأي؛ لأنَّهم وجدوا في الفعلين (منح ونجهد) دلالة لم توجدْ في غيرها من الأفعال، كأنْ يكون في المنح سخاء وتكرّم أكبر، وفي بذل الجهد جهاد وتفانٍ، من أجل سداد الرّأي، وخلوص النّصيحة.

ولمّا أرادَ صاحب النَّصِّ أنْ ينقدَ الوضعَ القائمَ آنذاك، ويُظهر سخطه وازدراءه تُجاهه، لم يحصر كلامه تجاه تسلّط (يزيد) على الحكم مباشرة؛ لأنّه أراد أنْ يُقنع متلقِّيه، ويثبت لهم بالحجّة الواضحة فساد نظام الحكم الأُمويّ منذ عهد (معاوية)، وفي هذا وجه إقناعيّ لقبول ما عرضه عليهم؛ لأنّه إذا كان (معاوية) الأقرب عهداً من عصر النبوَّة والرِّسالة قدْ أسَّس الجور والإثم والظُّلم، فما بالك بابنه (يزيد)، ذلك الصَّبيُّ الموصوف بشرب الخمور، وارتكاب الفجور؟ وهو بهذا كان يُريد أنْ يقدم إلى أمرٍ خطيرٍ، وهو تولِّي (يزيد) الحكم، والتأمّر على الأُمَّة؛ لذا كثَّف عبارات الذَّمِّ بشكلٍ متيقَّنٍ لديه من دون أنْ يرتاب في ذلكَ، فقدْ قال: «إنَّ معاوية قدْ ماتَ، فأهوِنْ به -والله- هالكاً ومفقوداً! ألَا وإنَّه قد انكسر بابُ الجور، وتضعضعتْ أركانُ الظُّلم، وقدْ كانَ أحدث بيعةً عَقَدَ بها أَمراً، وظنَّ أنَّه قدْ أحكمَه، وهيهات والذي أراد، اجتهد -والله- ففشِلَ، وشاور، فخُذِل».

فقدْ عمد المتكلِّم إلى ازدراء ذلك الحاكم وذمِّه والتقليل منه، مستغرباً

ومتعجِّباً من هلكته، بصيغة التعجُّب القياسيّة (أفعِل به) في: (فأهوِن به هالكاً)، فهو لم يقل: فأهوِن بهِ مَيتاً، كما عبَّر في أوَّل كلامه بالفعل (مات) «إنَّ معاوية قدْ مات»؛ لأنّه أراد أنْ يُغاير في التعبير ليبيِّن أنَّ موته كان هلكة؛ لأنَّ فعل الهلكة غير فعل الموت؛ إذْ يُلمح في الأوَّل حدَّة وسوء عاقبة، قالَ ابن دُريد: «وانهلك الرَّجل إذا حمل نفسه على الأمر الصَّعب»(٤٧)، و «هَلَك الشيَّء الذي يهوي»(٤٨).

وهو بهذا يسير على خطى الإمام الحسين عليه السلام صاحب النَّهضة الميمونة في مواجهة الحاكم الجائر، والوقوف بوجهه امتثالاً للحديث الشَّريف: «ألَا إنَّ أفضلَ الجهاد كلمةُ حقٍّ عندَ سلطانٍ جائرٍ»(٤٩).

إنَّ في هذه المغايرة التفات وتنبيه للمخاطب طلباً للإقناع في قول المتكلِّم، ثمَّ عزَّز ذلك بالتصغير والإذلال حينما وسم المتحدَّث عنه بأنَّه باب للجور وركن للظُّلم، بقوله: «ألَا وإنَّه قد انكسر بابُ الجَور، وتضعضعتْ أركانُ الظلم»، وهو تصوير بلاغيّ، وغرض بيانيّ متمثِّل بالاستعارة؛ إذْ جعله باباً للجور، وركناً من أركان الظلم، وهو تعبير بليغ؛ لأنّ الباب هو المنفذ الذي يلج منه الخيرُ أو الشَّرُّ، وهو المدخل إلى مكنونات الأشياء وأسرارها، فإذا كانت خيراً فيُملأ المكان خيراً، وإذا كانت شرّاً فيُملأ شرّاً، وإنَّ الدّخول لا يكون إلّا من الباب، قال تعالى: ﴿وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ [البقرة: ٥٨]، وجاء في الحديث الشَّريف: «أنَا مدينةُ العِلم، وعليٌّ بابُها»(٥٠).

يصوِّر المتكلِّم أنّ بحياة (معاوية) ووجوده كان بابُ الجَورِ مُشرعاً، وأركان الظُّلم قائمة، وفي حواره مع متلقِّيه أراد أنْ يقدِّمَ تعليلاً لما تقدَّم مِن كلامه السَّابق، فحينما ذمَّه مبيِّناً أنّه قدْ فتحَ باب الجور، وأقام أركان الظلم، أَتبعَ ذلك معلِّلاً أنّه

أحدث حدثاً في الإسلام، وشرخ شرخاً لا يلتئم حينما عهِد لابنه الذي أنكره المسلمون، وأُرغموا على أخذ البيعة منهم.

جاءت الألفاظ دقيقة في مواضعها من النَّصِّ، ذات إيحاءات معبِّرة تنطوي على معانٍ عميقةٍ، فلو أخذنا الألفاظ من قوله: «وقدْ كانَ أحدثَ بيعةً عقد بها أمراً»، فالفعل (أحدث) يحمل معنىً يدلّ على الخروج والبِدعة في الإسلام ومخالفة النَّصِّ من الكتاب والسُّنَّة، فعبّرَ عن أخذ البيعة ليزيد حدثاً خاطئاً اجترحه معاوية، ويعدُّ هذا الشيء خطيراً، جاء في اللِّسان: «الحدوث كون شيء لم يكن... وحدث أمر، أي: وقع، ومُحدثات الأُمور: ما ابتدعه أهل الأهواء من الأشياء التي كان السَّلف الصَّالح على غيرها»، وقالَ: «الحَدَث: الأمر الحادث المنكَر الذي ليسَ بمعتادٍ، ولا معروفٍ في السُّنَّة»[٥١]. لذا عبّر عنه بالأمر في قوله: «عقد بها أمراً»، ولفظ (الأمر) يستعمل للحدث المهمِّ سواء كان في الإيجاب أم السَّلب، قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدُّخان: ٤]، وجاء مثالاً للسُّوء في النَّصِّ في أخذ البيعة ليزيد، والفعل (عَقَد) من قوله: «عقد بها أمراً» فعقْدُ الشيء هو إبرامه وشدُّه، وبما أنَّ الأمر شيء ذهنيٌّ غير محسوس، فاستُعير لفظ العقْد له مجازاً، ثمَّ جاء الكلام اللَّاحق وهو توصيف لهذا الأمر في قوله: «وظنّ أنّه قدْ أحكمَه، وهيهاتَ والذي أرادَ، اجتهد -والله- ففشل، وشاوَرَ، فَخُذِل»، فالفعل (ظَنَّ) الذي أسنده إلى الضمير الغائب يُراد به اليقين، كان معاوية يخشى على بيعة (يزيد) من أربعة نفر كان الإمام الحسين عليه السلام على رأسهم، ومع خشيته منهم إلّا أنَّه يرى أنَّ الإمام الحسين عليه السلام سيواجهه ولا ينزل على حكمه ولو كلَّفه ذلك حياته، وهذا ما حدث، وأفعال الظَّنِّ تخرج بحسب سياقات الكلام إلى اليقين،

والظَّنُّ «هو الاعتقادُ الرَّاجح مع احتمال النقيض، ويستعمل في اليقين والشَّكِّ، وقيل: الظَّنُّ أحد طرفي الشَّكِّ بصفة الرُّجحان»(٥٢)، وفُسّر الظَّنُّ على اليقين في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ﴾[البقرة: ٤٦]، «وفي مصحف عبد الله (يعلمون)، ومعناه يعلمون أنْ لابدَّ من لقاء الجزاء، فيعملون على حسب ذلك، ولذلك فَسَّر (يظنُّونَ) بيتيقَّنونَ»(٥٣). ثمَّ بيّن المتكلِّم خيبة ما دبَّره وما بيَّته للأُمَّة، والظاهر أنَّ الأُمور قد استوسقتْ ليزيد بسبب سطوته، إلّا أنّ الحقيقة على خلاف ذلك، فقد خاب مسعاه؛ لأنّه أحدث في الإسلام ما أحدثه، فأحلَّ حرام الله، وحرَّم حلاله، وهذا طعنٌ في الدِّين الحنيف والشَّريعة الغرَّاء التي حملها سيِّد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا ما أنبأ عنه صاحبُ النَّصِّ في قوله: «وهيهاتَ والذي أرادَ، اجتهد -والله- ففشل، وشاوَرَ، فَخُذِل»، فعبَّر عن ذلك باسم الفعل (هيهات)، ويعني: بعُدَ ما أراد تحقيقه، واستعمال اسم الفعل بدلاً من الفعل نفسه فيه توكيد وتنبيه للمخاطب، يقول الرضيّ: «ومعاني أسماء الأفعال أمراً كانت أو غيره أبلغ وآكد من معاني الأفعال التي يُقال إنَّ هذه الأسماء بمعناها»، وإنّه أشار إلى معنى اختصار الكلام فيها «لغرض حصول الفراغ منه بسرعة؛ ليبادر المأمور إلى الامتثال قبل أنْ يتباعد عنه... وكذا كان أصل: عليكَ زيداً، وجب عليك أخذ زيد؛ وإليكَ عنِّي، أي: ضمَّ رحلك وثقلك إليك، واذهب عنِّي؛ ووراءك، أي: تأخَّر وراءَك، فجرى في كلِّها الاختصار»(٥٤)، وأشار الرَّضِّي أيضاً إلى معنى التعجُّب في أسماء الأفعال، فمثَّل على كلامه بـ (هيهات)، أي: ما أبعده، وشتَّان، أي: ما أشدَّ الافتراق...وأشار إلى أنَّ التعجُّب يعني تحقُّق التأكيد في الكلام(٥٥).

ويُمكن أنْ نعدَّ ما تقدَّم من الكلام تقديماً وتمهيداً لما سيذكره في الكلام

اللَّاحق من قوله: «وقدْ قام ابنه يزيد شارب الخمور، ورأس الفجور... يدَّعي الخلافة على المسلمين، ويتأمَّر عليهم بغير رضاً منهم»، ففشِلَ ما اعتقدَ معاويةُ بإحكامه؛ نظراً إلى هذه الأسباب، التي منها تنصيب هذا الغلام، الذي شهدتِ الأُمَّة بفسقِهِ وفسادِهِ.

ونجد المتكلِّم يقدِّم خطابه لإقناع متلقِّيه مستعملاً المؤكِّدات في الكلام، من خلال تكثيفه العبارة بواسطة العطف بالجملة والمفرد؛ لأنَّ العطف تشريك الكلام اللَّاحق بالكلام السَّابق لجلاء الصُّورة وإيضاحها في التعبير، كما جاء في عطفه العبارات: (اجتهد-والله- ففشِل، وشاوَر، فخذل، وقدْ قامَ ابنه يزيد شارب الخمور، ورأس الفجور...معَ قِصَر حلمٍ، وقلَّة علمٍ...)، وقدْ أكَّد الدَّارسونَ المحدثونَ أهمِّيَّة الرَّبط من خلال العطف بين الجمل، أو بين أجزاء الجملة الواحدة، وهو «علاقة تصطنعها اللُّغة بين المعنيين داخل الجملة الواحدة، أو بين الجملتين؛ لأمن اللَّبس في فهم إحدى الحالتين السَّابقتين، أي: لأمن لبس الارتباط، او لأمن لبس الانفصال، فاللُّغة تلجأ إلى الرَّبط حين ترى أنَّ ثمَّة علاقة بين طرفين، لكنَّها علاقة غير وثيقة، فإذا تركتَ الطرفين متجاورين بالرَّبط، فربَّما فُهِم أحياناً أنَّ العلاقة بينهما وثيقة، وربَّما فُهِم في أحيانٍ أُخرى أنَّ العلاقة بينهما منعدمة»[٥٦].

يُضاف إلى ذلك، القسم الذي يكرِّره بين حينٍ وآخر، كما في قوله: (اجتهد والله، ففشِل)، وقوله: (فأقسم بالله قسماً مبروراً)، ويدلُّ هذا على وثاقة الرَّجل صاحب النَّصِّ بما يطرحه ويراه، ونجد كذلك مناسبة سوق عبارات النَّصِّ بعضها مع بعض، وترابطها وانسجامها، فالعبارة التي تسري مسرى المثل الدّالَّة

على الذَّمِّ في التخبُّط في الأُمور وانعدام الرأي والبصيرة والصّواب في قوله عن (يزيد): «لا يعرف مِن الحقِّ موطئ قدمه» مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالكلام السَّابق: «يدَّعي الخلافة على المسلمين، ويتأمَّر عليهم، بغير رضاً منهم، مع قِصر حلمٍ، وقلَّة علمٍ»، فمَن كانت هذه حاله في ادِّعاء خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله، فماذا يُرتجى منه من خير؟ وفي هذا الموضع يُمكن أنْ نوردَ نكتةً في خطابه تدخل في باب الحِجاج تعزِّز من موقف المتكلِّم، وتزيده قوَّة، وتعمد إلى إقناع المتلقِّي، وهي قوله: (وقدْ قامَ ابنه يزيد)، أراد مِن(ابنه) وقيامه بهذا الأمر أنْ يحضر في ذهن السَّامع أنَّ الأمر قدْ توارثوه وتقاسموه، مع استحضار سيرة (معاوية)، وما تحمله أمامهم، وهذا ما يكشفُ عن الرَّبط بين الأب والابن في المنهج والسُّلوك.

ويُشير المصدر (ادِّعاء) على التعدِّي والمجاوزة على الحقوق في جانب من معانيه، جاء في اللِّسان: «وادَّعيتُ الشيء زعمته لي، حقّاً كان أو باطلاً، وقول الله عزّ وجلّ في سورة الملك: ﴿وَقِيلَ هذا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ﴾[الملك: ٢٧]، قرأ أبو عمرو (تدَّعون) مثقَّلة، وفسَّره الحسن (تُكذِّبون) من قولك: تدَّعي الباطل وتدَّعي ما لا يكون، تأويله في اللُّغة: هذا الذي كنتُم من أجله تدَّعون الأباطيل والأكاذيب...»[٥٧]، فمَن كانت صفتُه قِصَر الحِلم، وقلَّة العِلم، فقدْ خرج من الهداية إلى الضَّلال، وزاغَ عن طريق الحقِّ والصَّواب.

بعدَ ذلك عمد المتكلِّم إلى المفاضلة من خلال استعماله (أفعل) التفضيل بين مجاهدته ومجاهدة المشركين، فقال: «لَجهادُهُ على الدِّين أفضل من جهاد المشركين»، وهذا نوع من وسائل الحِجاج في الكلام في المقارنة بينَ حالتين، فقدْ عدَّ النّهوض والقيام بوجهه جهاداً يفوق جهاد المشركين؛ لأنّه يعلم أنَّ حكمهم

حكم جور وظلم، فاقد للشرعيّة الحقَّة، وفضَّل جهادَه على جهاد المشركين؛ لأنّه يدَّعي الإسلام، ويحكم باسمه، من غير رضاً من المسلمين، أمَّا المشركون، فهم غير ذلك؛ ولكونهم لا يدينونَ دينَ الإسلام، فجهتهم مشخَّصة ومعروفة لدى المسلمين، أمَّا مَن يعتلي منبرَ رسول الله صلى الله عليه وآله وهذه الحالة التي عليها (يزيد)، فالأمر هنا خطيرٌ، ولا يُغتفر السُّكوت عليه.

إنَّ المتكلِّم قدْ مال إلى الكفَّة الرَّاجحة بالمحامد والفضائل في شخص الإمام السِّبط عليه السلام، محيلاً عليه باسم الإشارة في قوله: «وهذا الحسين بن عليٍّ ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله...، فقدْ حلَّت به الفضائل كلُّها: التمام والكمال، والشّرف والرِّفعة، والعِلم والحلم، والنَّسب والقرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله».

بدأ النَّصُّ بخصلة مهمَّة ومؤثِّرة في نفس المتلقِّي، وهي القرابة والانتساب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيِّه وبضعته الزَّهراء عليها السلام لما لهذا من أثر كبير؛ لأنّه فعل إنجازيٌّ إبلاغيٌّ موصل إلى نفوس المتلقِّين، أرادَ مِن خلاله أنْ يُبرزَ ارتباط الحسين عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وآله نسباً وقرابة من جهة أُمِّه فاطمة عليها السلام، وما يُوحيه هذا الرَّمز الكبير، وما تحمله عليها السلام مِن مكانةٍ في الإسلام، وكذلك مرتبطاً برسول الله صلى الله عليه وآله روحاً ومبدأً؛ لأنَّ المسلمين يعلمون ويعون الأحاديث الشريفة التي تنصُّ على أنَّ الحسن والحسين عليهما السلام ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله، ويؤكِّد ذلك ما ورد في الأحاديث المستفيضة في بنوَّتهما لرسول الله صلى الله عليه وآله، من ذلك ما نُقل عن أُسامة بن زيدٍ، قال: «طرقتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله ليلةً لبعض الحاجة، فخرج، وهو مشتملٌ على شيءٍ لا أدري ما هو، فلمَّا فرغتُ مِن حاجتي، قلتُ: ما هذا الذي أنتَ مشتملٌ عليه؟ فكشفَه، فإذا هو الحسن والحسين على وركيه، فقال: **هذانِ أبنائي، وأبناء ابنتي،**

اللَّهُمَّ إنَّك تعلمُ أنِّي أُحبُّها فأحِبَّها، اللَّهُمَّ إنَّك تعلمُ أنِّي أُحبُّها فأحِبَّها»[٥٨].

إنَّ الانتساب إلى جدِّه صلى الله عليه وآله، وأبيه وأُمِّه عليهما السلام، قدْ وردَ على لسانه عليه السلام في عددٍ من مواضع خطبه في مسيره، وفي ملاقاته الجيوش المحيطة به، ومن جملة ذلك، قوله عليه السلام: «**فإنَّه لا يحلُّ لكم قتلي، ولا انتهاك حُرمتي، فإنِّي ابنُ بنت نبيِّكم، وجدَّتي خديجة زوجة نبيِّكم**»[٥٩]، فهذا الانتساب والقرابة من النبيِّ الأعظم وسيلة وحجَّة إقناع لردع القوم عن القدوم لمحاربته، وانتهاك حرمته، التي تعني انتهاك حرمة الإسلام.

في قوله: «هذا الحسين» يُحيل اسم الإشارة على رمزٍ من رموز الأُمَّة، وزعيم من زعمائها، الذي لم يتقدَّم عليه أحدٌ في زمانه، حتَّى أنَّ معاوية قدْ أعلم يزيد حينما أراد أنْ يعقد له البيعة، أنَّه سيرفض مبايعته[٦٠].

وورود العَلَم المتمثِّل بالاسم الشَّريف (الحسين) عليه السلام في النَّصِّ، يحمل معاني سامية، وأثراً إقناعيَّاً يذهب فيه المتلقِّي إلى ما يحمله الاسم من صفات تنعكس عليه، ومن خلاله يحقِّق المتكلِّم فعلاً إنجازيَّاً، فالإشارة إلى رمز الإمام الحسين عليه السلام يكشف عن مدلولات تنضوي وراءه، فهو يمثِّل الدِّين المحمَّديَّ الحقَّ، وهو أمل الأُمَّة لتغيير الواقع المعاش آنذاك، وهذا المشار إليه يقودنا للحديث عن دلالة استعمال الاسم العَلَم، ويولِّد حضوره في النَّصِّ حضوراً بين المتكلِّم والمخاطب، ويشكِّل مثيراً نصِّيَّاً؛ لما يحلُّ في هذا الاسم العَلَم مِن مقامٍ، وما يحمل من صفات ذلك الشَّخص، يقول روسل: «إنَّه على الحقيقة وصف لصاحبه، لكنَّه وصفٌ غيرُ معلَن... يُمكن أنْ يحلَّل على أساس الصِّفات التي لصاحبه»[٦١].

في استعمال اسم الإشارة للإحالة على القريب في قوله: «وهذا الحسين...»

دلالة على حضوره، وتوجُّه أنظار الأُمَّة إليه لقيادة زمام الأُمور، وتولِّي أمر المسلمينَ؛ ولأنَّ حضوره واضح في مراقبة حال الأُمَّة في ذلك الوقت، وهو الإمام المنصوص عليه، الآمر بالمعروف والنَّاهي عن المنكر، فأحال المتكلِّم على شخصه الكريم؛ ليُضفي على كلامه قوَّةً، ويزيده توكيداً، فالمشار إليه، وهو الإمام عليه السلام قدْ أعطى مدلولاً لاسم الإشارة (هذا)، وزاده وضوحاً وتحديداً(٦٢).

جاء النَّصُّ متجانساً ومنسجماً من خلال استعماله العطف المتكرِّر للعبارات التي تبيِّن محامد الإمام وخصاله المتأصِّلة، التي لا يختلف عليها أحد حتّى أعداؤه، وهو قوله: «ذو الشَّرف الأصيل، والرَّأي الأثيل، له فضلٌ لا يوصفُ، وعلمٌ لا ينزِف...».

يظهر النَّصُّ هنا مترابطاً ومتضامَّاً ومتراصَّاً بين أجزائه وعباراته بواسطة العطف بحرف العطف (الواو)، وما ذُكِر -آنفاً- عُدَّ مِن وظيفة العطف، والمتمعِّن في كلام سيبويه يلمح إشارته إلى ترابط الكلام من خلال العطف، فالطرفان (المعطوف والمعطوف عليه) مشتركان في الحكم، ولم تكن لأحدهما منزلة أَولى من الآخر؛ «لأنَّه يجوز أنْ تقول: مررتُ بزيدٍ وعمرٍو، والمبدوء به في المرور عَمرو، ويجوز أنْ يكونَ زيداً، ويجوز أنْ يكونَ المرور وقعَ عليهما في حالةٍ واحدةٍ، فالواو تجمع هذه الأشياء على هذه المعاني، فإذا سمعتَ المتكلِّم بهذا أجبته على أيِّهما شئتَ؛ لأنَّها قدْ جمعت هذه الأشياء»(٦٣).

يظهر ممَّا تقدَّم أنَّ العطف عامل مهمٌّ من عوامل الرَّبط بين أجزاء الكلام، وأداة فاعلة للاتِّساق والانسجام في النَّصِّ.

هذه الأوصاف التي سيقت في النَّصِّ بعد الإشارة التي أحالت على الإمام عليه السلام

وتعلَّقت به، جاء الكلام متناسقاً ومتناسباً مع ما تقدَّمه، وهو ذكر الإمام الحسين عليه السلام وانتسابه إلى جدِّه صلى الله عليه وآله وأبيه عليه السلام، فأيٌّ من هذه الصِّفات التي ذكرها تنطبق عليه عليه السلام تمام الانطباق من الشَّرف والانتساب، وكذلك الرَّأي والفضل والعِلم؛ لذا أراد النَّصُّ أنْ يعزِّز قوله الأوَّل، ثمَّ أراد المتكلِّم أنْ يُثبت دعوتَه إلى نصرة الإمام عليه السلام وتولية الأمر إليه، كما في قوله: «وهو أولى بهذا الأمر»، فعلَّل ذلك بسابقته وسنِّه، وقدمه وقرابته، فالإمام الحسين عليه السلام من الصَّحابة السَّابقين، والسَّابقونَ هم الممدوحونَ في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[الواقعة: ١٠-١٢] بالسِّنِّ والقِدَم؛ لأنَّ ذلك يعني أنَّه قضى هذه المدَّة من حياته الشَّريفة، تلك الحياة المستقيمة النقيَّة النَّاصعة، قضاها في ظلال الإسلام الوارفة، وهضم تعاليمه وأحكامه التي سرتْ في عروقه مسرى الدَّم، أمَّا قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله، فهي اللَّفظة التي تحملُ بُعداً عميقاً، وتمدُّ النَّصَّ وتُوصل الكلام لتثبيت الرِّسالة التي يُلقيها صاحب النَّصِّ على المتلقِّي؛ لأنَّ هذه القرابة تُوجب لهم الطَّاعة والمحبَّة والولاء والرِّعاية، وهذا ما نصَّتْ عليه الآيات النازلة، كقوله تعالى: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الموَدّة فِي الْقُرْبى﴾[الشُّورى: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لله خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾[الأنفال: ٤١].

إنَّ الإشارة في قوله: «وهذا الحسين» إنَّما هي إشارة إلى حاضرٍ قريبٍ، وهذا ما ثبتَ عند علماء النَّحو، يقول ابن النَّاظم: «اسم الإشارة ما دلَّ على حاضرٍ، أو مُنزَّل منزلة الحاضر، وليس متكلِّماً ولا مخاطباً، ويختلف بحسب القُرب والبُعد...»[٦٤].

أمَّا الرَّضيُّ الاستراباذيُّ، فعدَّها إشارةً حسِّيَّةً تُستعمل للحضور والقُرب، قال: «ولا يُشار بالإشارة الحسِّيَّة في الأغلب إلَّا إلى الحاضر الذي يصلح لكونه مخاطباً...»[٦٥]، وبيّن أحد الباحثين نوع الحضور في اسم الإشارة عند ابن النَّاظم أنَّه حضور يختلف عن الحضور في المُشيرات النَّصِّيَّة الأُخَر، كضمائر المتكلِّم والمخاطب؛ إذْ إنَّهما يشكِّلان حضوراً «بالمواجهة والتخاطب القائم بينهما، أمَّا حضور المشار إليه، فقدْ كانَ مِن جهة توجيه الانتباه إلى شيءٍ موجودٍ في الحضرة»[٦٦]، ومال بعض الدَّارسيَن المحدثين إلى أنَّ أسماء الإشارة تتوزَّع بين مهمَّتين، هما: الإشارة المقاميَّة، والثانية عائديَّة نصِّيَّة، منهم: ليونز، وفرانك بالمر[٦٧]، ورجَّحت الباحثة منى الجابريّ أنّ وظيفة أسماء الإشارة هي الإشارة المقاميَّة، وبيَّنت «أنَّ كلَّ مشارٍ إليه لابدَّ أنْ يكون في علاقة اتِّصال بمركز التخاطب من قريبٍ أو بعيدٍ»[٦٨].

وإذا أردنا أنْ نقف عند قيمة هذه العلاقات والرَّوابط التي تجمع بين أجزاء النَّصِّ بهذه المحيلات من الضَّمائر وأسماء الإشارة والعطف بين الجمل والعبارات، فهي تشكِّل مَلْمَحاً مهمّاً في تماسك النَّصِّ وتلاحم أجزائه، وقدْ أولى المحدثونَ أهمِّيَّة كُبرى لهذه العلاقات في بناء النَّصِّ.

إنَّ مِن أبرز سمات الخطاب هو التَّرابط والتَّماسك بين أجزائه، وعلاقة الجُمَل فيما بينها، وهناك عوامل يستند إليها هذا التَّرابط، وهي مؤشِّرات لغويَّة متمثِّلة بعلامات العطف، والوصل والفصل، وأسماء الإشارة، وأدوات التعريف، والأسماء الموصولة[٦٩].

بعدما قدّم صاحب النَّصِّ حالتين متضادَّتين، وطرفين متناقضين، ورسم

طريقين مختلفين، طريقاً ينتهي إلى الضَّلال والتِّيه، وطريقاً يؤدِّي إلى الهدى والحقِّ، يتمثَّل الأوَّل بالسُّلطة الحاكمة سلطة (يزيد بن معاوية)، وأمَّا الطرف الثَّاني، فيتمثَّل بدعوة الحقِّ التي نهض بها الإمام الحسين عليه السلام، وتضمَّن النَّصُّ إبراز هاتين الحالتين المتضادَّتين المتقابلتين، ويُعدُّ هذا مَلمحاً جماليَّاً أثار نفوس المتلقِّين في خطاب المتكلِّم؛ لأنَّ النَّفس بطبيعتها مجبولة على الخير، ونافرة من الشرِّ. وقدْ أشار (سيِّد قطب) إلى القيمة الكبيرة للتقابل الواقع في القرآن الكريم، مصوِّراً دقَّة التعبير فيه، والأثر الناتج منه، ومثَّل لذلك بصورتين متضادَّتين، وهما: إماتة الأحياء، وإحياء المَوتَى في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلا يَسْمَعُونَ﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلا يُبْصِرُونَ﴾[السَّجدة: ٢٦-٢٧]، ففي ومضة عين نقلهم من القرى المهلكة الدَّاثرة بعد الحياة والعمران إلى الأرض الحيَّة الممرعة بعد الموت والإجداب، فالتقابل هنا بين حالتين في الواقع، لا بين حالةٍ وحالةٍ»(٧٠).

من خلال ما تقدَّم، أراد الخطيب صاحب النَّصِّ أنْ يُقابل بين حالتين متضادَّتين مختلفتين، ولعلَّ هذا يدخل في باب التقابل، فيخلقُ أُسلوباً جماليَّاً، يقول د. حسين جمعة: «إنَّ البنية النسقيَّة المتوازنة والمتلائمة في أُسلوب التقابل بنية نسقيَّة مندمجة الأجزاء في سياقٍ قائمٍ على التناظر في الشَّكل، ومتفاعل مع الدَّلالة، فما تكاد تلتقي حتَّى تفترق على التضادِّ، أو على التشاكل، لتخلق لذّة جماليَّة مفاجئة ومثيرة، وهي تنتقل من أُسلوب نسقيٍّ إلى آخر لتُحدث في النَّفس قبضاً وبسطاً، هيبة وأُنساً، خوفاً ورجاءً... فالتضادُّ التقابليّ لا يقوم على مجرَّد

المعاكسة أو التعارض، أو على أساس مفهوم الهدم والبناء... وإنَّما يستندُ إلى النَّسَقِ التقابليِّ البنيويِّ، فكلُّ نسقٍ يقفُ مقابل نسقٍ آخر تضادّاً وتشاكلاً لينتهي إلى التآلف والتكامل والتناغم في وحدة منسجمة... أي إنَّه في مثل هذه الحال يُصبح ظاهرة أُسلوبيَّة جماليَّة لا تنتهي إلى مفهوم الضِّدِّيَّة المحطَّمة، وإنَّما يتجسَّد التضادّ التقابليّ في نسيجٍ ملائمٍ متوافقٍ... ممّا يحقِّق للنَّسَق التقابليّ قدرة هائلة من التأثير والفعل في حال التناظر المعكوس، أو التناظر المتآلف المرتَّب بدقَّة»[٧١].

نجد في سياق وصف هاتين الشَّخصيَّتين المتضادَّتين أنَّ المتكلِّم قدَّم الحديث عن شخصيَّة (يزيد) على شخصيَّة الإمام عليه السلام لكي يجعل كلامه منسجماً ومترابطاً مع كلامه السَّابق له، وهو حديثه عن معاوية، وتمهيده لحكومة يزيد، وهو قوله: «إنَّ معاوية مات...»؛ ليجعل خطابه متسلسلاً ومتَّصلاً؛ ولكي يكون نسيجاً واحداً، أو أن نحلِّل ذلك على أنَّ خطاب المتكلِّم كان منصبّاً على الحدث المهمّ الذي جرى الكلام من أجله، وهو تسلُّط الحاكم الجائر. وقدْ أدرك القدماء من البلاغيِّين فيه هذا الغرض، لكي يوضع الموضع الملائم والمنسجم في الكلام، كما هو مبيَّن عند ابن الأثير حينما بيَّن حاجة صاحب الصِّناعة اللَّفظيَّة إلى الأشياء التي تجعل نصَّه مترابطاً منسجماً، فذكر ثلاثة أُمور الأوَّل: اختيار الألفاظ المفردة، والثاني: انتظام الكلمة مع أُختها المشاكلة لها، والثَّالث قال فيه: «الغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه، وحكم ذلك حكم الموضع الذي يوضع فيه العقد المنظوم...»[٧٢].

ويردّ الدّارسونَ أغراض التقديم والتأخير في صياغة الكلام إلى فكرة (الحال والمقام) التي تقوم على علاقة المجاورة بين أجزاء الكلام، وقدْ علَّقت الدكتورة

خلود العموش على نصِّ ابن الأثير، بقولها: «وهذا نصٌّ يؤكِّد إدراك هذا البلاغيّ لمفهوم الامتداد الخطِّيّ لسلسلة الكلام، وأهمِّيَّة التوافق الذي يجب أنْ يتوافر بين عناصره، ومِن ثَمَّ التوافق مع السِّياق المحيط به، والذي أسماه (الموضع) أو (الغرض)، فتشكيلة الكلام تتَّفق مع الحدث الذي أنتج هذا الكلام»(٧٣).

بعدما بيَّن الحقَّ من الباطل، والهداية من الضَّلال، لإقناع متلقِّي خطابه، خلص إلى توجيه الخطاب إليهم مباشرة من خلال أُسلوب الطلب بواسطة النَّهي في قوله: «فلا تعشوا عن نور الحقِّ، ولا تسكَّعوا في وَهدة الباطل...»، وقدْ عمد إلى هذا النَّهي مستعيناً بغرضٍ بيانيٍّ من أغراض البلاغة وهو (الاستعارة)، إذ إنَّه استعار للحقِّ وللباطل الفعلين (تعشوا وتسكَّعوا) من استعمالهما في شخص الإنسان.

يدخلُ هذا الأُسلوب في باب الطلب الإنشائيّ (الأمر، النَّهي...)، وهو يُولِّد اتِّصالاً بين المتكلِّم والمخاطَب لما يحقِّقه من حاجات نفسيَّة وروحيَّة واجتماعيَّة؛ إذْ نلمح في هاتين العبارتين غرضاً بلاغيّاً مثل التَّهديد والإنذار والوعيد، وهو ما أثبته أصحاب المعاني من قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾[المائدة: ٧٧]، وقوله تعالى ﴿وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[المائدة: ٨٧]، فقدْ ذكر أحد الباحثين في شواهد القرآن الكريم المتقدِّمة «أنَّها حالة عقليَّة قبل أنْ تكون حالة عاطفيَّة انفعاليَّة، ما يُبرز القيمة الجماليَّة في نسب اتِّصال الصُّورة الجماليَّة بين العقل والعاطفة»(٧٤).

والنَّهي واحدٌ من أساليب الطلب الذي عُدَّ من نظريَّة أفعال الكلام، وهو

يؤدِّي عملاً مرتبطاً بموقفٍ يعبِّر عن رغبةٍ في شيءٍ مَا، وهو يدخلُ في الفِعل غير اللَّفظيِّ لكونه يعبِّر عن حدثٍ يقصده المتكلِّم، «وقدْ لفتت هذه النظريَّة الانتباه إلى أنَّ اللُّغة ليستْ للإخبار ونقل الأفكار فقط، بل تؤدِّي -أيضاً- وظيفة التأثير الاجتماعيّ في الآخرين عَبر ما يُعرف بصِيَغ العقود أو الصِّيَغ الإنشائيَّة»(٧٥).

ولو نظرنا إلى مناسبة اختيار الألفاظ في هاتين الاستعارتين، وهما الفعلان: (تعشوا، تسكَّعوا) لوجدنا دقَّة الاستعمال، وحسن التناسب بين الألفاظ، فالعشو«مصدر عشوتُ... وأوطأتني عُشوة، أي: أمراً ملتبساً... عشى الرَّجل يعشى عشىً... وهو الذي ساء بصره من غير عمىً»(٧٦)، ولمّا كان العشو مرضاً غيرَ إراديٍّ، فاستعماله هنا على غير وجه الحقيقة، بل هو استعمال مجازيّ، وكذلك الفعل (تسكَّعوا) ومعنى التسكُّع: «مِن قولهم: خرجَ فلان، فلا يُدرى أين سكع، أي: أين وقع، وإلى أين صار؟ وفلان يتسكَّع في أمره، إذا لمْ يعتدْ لوجهته»(٧٧).

بعد هذا النَّهي الموجَّه بشكل مباشَر إلى السَّامعين المتلقِّينَ، يسوق المتكلِّم نهياً غير مباشر، وهو نهي جاء بأُسلوب الخبر، أي: أنّ الخبر قدْ خرج إلى النَّهي في قوله: «والله، لايُقصِّر أحدٌ عن نُصرته، إلّا أورثه الله الذُّلَّ في ولده، والقلَّة في عشيرته»، وهذا أُسلوب رفيع المستوى من النّظم في الكلام، وقف عليه المفسِّرون في التنزيل العزيز، مبيِّنينَ بلاغته.

وقدْ أشار الزمخشريّ إلى معنى النَّهي عن مسِّ القرآن الكريم إلَّا على طهارةٍ من قوله تعالى: ﴿لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[الواقعة: ٧٩]، قالَ: «وإنْ جعلتها صفة للقرآن، فالمعنى لا ينبغي أنْ يمسَّه إلَّا مَن هُو على الطَّهارة من النَّاس»(٧٨)، وأشار الزّركشيّ في عددٍ من آيات التنزيل العزيز إلى وضع الخبر موضع الطلب في الأمر

والنَّهي، كقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾[البقرة: ٢٣٣]، ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ...﴾[البقرة: ٢٨٨]، ثمَّ قال «فإنَّما يجيء الأمر بلفظ الخبر الحاصل تحقيقاً لثبوته، وأنَّه ممّا ينبغي أنْ يكونَ واقعاً ولابدَّ، وهذا هو المشهور»(٧٩).

وذكر الدّكتور حسين جمعة: «فالانحراف في الأُسلوب الخبريّ لم يكنْ تحوُّلاً عارضاً أو معياريّاً، بل هو انزياحٌ بلاغيٌّ تصويريٌّ لحالات النَّفس التي تختزن عواطف شتَّى يستجيب لها المخاطب بكلِّ جوارحه»(٨٠)، ويعدّ تحوّل الخبر إلى إنشاء من أحداث الكلام الذي تعنى به نظريَّة أفعال الكلام؛ إذْ مثَّل (اوستن) لها بقوله مثلاً: «لا يشغل محرِّك السَّيَّارة»(٨١).

بعدما أوضح وبيَّن وأنذرَ، وعلم أنَّه قدْ بلغ الغاية في خطابه، أعرب عن الهدف الذي ساق من أجله خطابه، فكشف عنه بقوله: «ها أنا قدْ لبستُ للحرب لامتها، وادَّرعتُ لها بدرعها...»، مُعلناً بشكل صريح عزمه على ملاقاة الأعداء، وخوض غمار الحرب، جاعلاً هذا الإعلان وهذا البيان نتيجة لما يصبو، ومرتبطاً بخطابه الذي أسَّس له في كلامه السَّابق، فبدأ عبارته هنا بالإشارة إلى ذاته- وهو المتكلِّم- ليجلبَ انتباه المخاطب إلى وجوده وحضوره، كما تقول: «أنا هذا»(٨٢).

وفي كلامه هذا قدْ أنبأ عن فتوَّته وبسالته وتأهُّبه، وقدْ صاغَ ذلك بأُسلوبٍ رصينٍ محكمٍ، نلمح فيه فروسيَّته وشجاعته، فرسم لنفسه صورة بطوليَّة تُثير في المتلقِّي الحماس والاندفاع، وهو قوله: «ها أنا قدْ لبستُ للحرب لامتها، وادَّرعتُ لها بِدرعها، مَن لمْ يُقتَل يمُتْ، ومَن يهرب لم يفُتْ». جاء النَّصُّ مكتنزاً وقويّاً من خلال المؤكِّدات المتمثِّلة بالفعلين الماضيين: (لبستُ، وادَّرعتُ)؛ إذ يدلُّ الفعل الماضي على الانقطاع والانقضاء في حدثه، فصاحب الخطاب قدْ عزم

أمرَه وحسَمه، وأكَّد ذلك بحرف التَّحقيق الدَّاخل على الفعل الماضي، يُضاف إلى هذا التأكيد، الإضافات: (لامتها، درعها)؛ إذ إنَّه أضاف اللَّامة- وهي عدَّة الحرب- إلى الضَّمير العائد على الحرب، وكذلك (بدرعها)؛ لأنَّ الإضافة تجتمع فيها قوَّة من خلال النِّسبة بين الاسم الأوَّل والثَّاني؛ إذْ يُصبح الاسمان اسماً واحداً من حيث الارتباط والالتصاق، فضلاً عن العطف بين الجمل لتكثيف المعنى وتأكيده، ويؤكِّد ذلك بما بعده من الكلام، مشيراً إلى حتميَّة الموت الذي لا مهربَ منه، وهو كلامٌ ينسجم مع كلامه عن الحرب التي تتطلَّب التضحية والفداء، وهو قوله: «مَنْ لَمْ يُقتَل يمُت، ومَنْ يهرُب لمْ يفُتْ».

وبعد انتهاء الفقرة يختم مخاطبتهم بأُسلوبٍ طلبيٍّ مهذَّبٍ متوخِّياً منهم حسن الجواب في قوله: «فأحسِنوا رحمكُم اللهُ ردَّ الجواب»، جاءتْ جملة الدّعاء بالفعل الماضي معترضة لتزيد من جماليّة الطَّلب؛ كي لا يكون فيه تعالٍ وخشونة ونفور.

الحِجاجُ في خِطاب قومِه وجوابهم له

بعد ما تلقَّتْ تلك الأقوام الخطاب من زعيمهم، أجابته ملبِّية دعوته، مرحِّبة بما ألقاه على مسامعهم، وهم: (بنو حنظلة، وبنو سعد، وبنو عامر)، وكلُّ قبيلةٍ كشفتْ عمّا في نفوس قومها، مبديةً السَّمع والطاعة، فجاء خطابهم كلاماً رصيناً محكماً مشتملاً على قوَّة المعنى من حيث المؤكِّدات والنِّداء، بقولهم: «يا أبا خالد»، وهو خطاب مباشَر موجَّه إليه، ويظهر من خطابهم سمة التواصل والفهم لرسالته التي واجههم فيها، وأطلعهم عليها من خطابه لهم، بدليل أنَّهم قدْ أجابوه بلغةِ الحماسة والشَّجاعة والفتوَّة، ظهرتْ فيها ألفاظ الحرب

والمواجهة والتضحية والفداء، كما في قول بني حنظلة: «نحنُ نبل كنانتك، وفرسان عشيرتك، إنْ رميتَ بنا أصبتَ، وإنْ غزوتَ فتحتَ، لا تخوض -والله- غمرةً إلّا خضناها، ولا تلقى -والله- شدَّةً إلَّا لقيناها، ننصرك بأسيافنا، ونقيك بأبداننا، فانهض لما شئتَ»، وقول بني سعد: «إنَّ أبغضَ الأشياءِ إلينا خلافك، والخروج عن رأيك»، وقول بني عامر: «نحنُ بنو أبيك وحلفاؤك، لا نرضى إنْ غضبتَ، ولا نقطنُ إنْ ضعنتَ، والأمرُ إليك، فادعنا نُجبك، ومُرنا نُطعك، إنْ شئتَ...». يدلُّ هذا على الإقناع الذي حصل لهم في قبول هذه القضيَّة والإيمان بها، والقيمة المحاجِّيَّة للخطاب الذي تلقَّوه من زعيمهم، فأثَّر في نفوسهم بعدما أدركوا مراميه ومقاصده، ودور المتلقِّي (المخاطَب) دور مكمِّل لإتمام الخطاب ونجاحه؛ لأنَّه يقوم بدور المفكِّك لتركيب الخطاب بحسب فهمه الخاصِّ المعتمد على ثقافته وتجاربه، وهي ثقافة مشتركة بين أبناء المجتمع، ومنهم صاحب الخطاب[٨٣]. وأورد أحد الباحثين أنَّ لغة النَّصِّ تحقِّق التواصل عن طريق طرفين مهمَّين، هما: المرسِل (وهو الطرف الفعّال)، والمتلقِّي (الذي يبذلُ جهداً في تلقِّي الخطاب)[٨٤].

لقدْ كان حماس المتلقِّينَ للخطاب بادياً من خلال خطابهم المقابل الذي زخر بالأُسلوب الرَّصين والمعاني العميقة، ما أكسبه صفة الفصاحة والبلاغة، وقدْ كان مكثَّفاً ومستوعباً لأفكار الخطيب؛ إذ إنَّهم كانوا قدْ أسهبوا وتوسَّعوا في ردِّ الجواب بما يُغني فكرة الاستعداد بالقدوم على الجهاد والتضحية، وبذل كلِّ نفيس من أجل القضيَّة التي آمنوا بها.

لقدْ تنبَّه الدَّارسونَ المحدثونَ إلى حالةٍ إيجابيَّة عُدَّتْ لصالح المخاطب

(المتلقِّي)، وهي إنَّ: «عدم اقتصار دوره على القيام بعمليَّة التفكيك فرضه نمطاً معيَّناً يأتي عليه الخطاب، وفقاً لحاله، وبتوجيه من طبيعة العلاقة التي تربط المتخاطبين، ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾[طه: ١٧-١٨]، فحرص موسى عليه السلام الشَّديد على إطالة الخطاب مع الله، جعله يُطيل في وصف عصاه، مع أنَّ المطلوب في السُّؤال هو بيان ما بيمينه لا مدى أهمِّيَّتها له»(٨٥).

الحِجاجُ في جوابه للإمامِ الحسينِ عليه السلام

لما أبلغ هذا الرَّجل الجليل رسالته بهذا الخطاب المثير الذي استجابتْ له قبيلته، وأقوام من البصرة بالرِّضا والترحيب، كتب إلى الإمام الحسين عليه السلام ردَّاً على الكتاب الموجَّه إليه منه عليه السلام، وقدْ كانَ كلامه يحمل دلالات وانزياحات لغويَّة تنمُّ عن مقدرة خطابيّة عالية، وأداء منسجم ومترابط في الكلام، وانسجام بين أجزاء النصِّ، وكان خطابُه أمام الإمام عليه السلام يظهر فيه الوقار والاحترام، ويقدِّم نفسه بصورة المتذلِّل المتصاغر، المظهرِ للخضوع والانقياد والطَّاعة أمام شخصيَّة الإمام العظيمة، وعليه مظاهرُ التأدُّب، وأمارات المحبَّة، فقال: «أمَّا بعدُ، فقدْ وصلَ إليَّ كتابك، وفهمتُ ما ندبتني إليه، ودعوتني له من الأخذ بحظِّي من طاعتك، والفوز بنصيبي مِن نُصرتك...»، فتظهر قوَّة المعنى في الخطاب من خلال الإحالات في الضَّمائر المتَّصلة التي تعود على المخاطَب والمخاطِب، فقدْ حقَّقت الاتصال المباشَر بينهما، وهي توصف عند الدَّارسينَ المحدثينَ بأنَّها تكون ذات إحالة مقاليَّة متحقِّقة التَّناسق(٨٦).

عبَّر عن موقفه الإيجابيّ تجاه خطاب الإمام عليه السلام الموجَّه إليهم، وقدْ أبدى اهتمامه به لأهمِّيَّته التي بدتْ من خلال قوله: «وفهمتُ ما ندبتني إليه، ودعوتني له»، إذ إنَّه قدْ فهم أبعاد هذا الخطاب المتعدِّدة التي تحتوي على أبعاد دينيَّة ودنيويَّة، فأثَّر ذلك في نفسه، مبيِّناً أنّه أمرٌ مهمٌّ وخَطِر؛ لذا عبَّر عنه بالفعل (ندبتني إليه)؛ لأنّ الانتداب للشيء لا يجري في الأمر السَّهل والهيِّن، بل يحصل في الأمر الشَّديد؛ لذا قدَّمه على قوله: (ودعوتني له)، وإذا ما نظرنا إلى عباراته الدَّالَّة على استجابته وطاعته وتوقيره الإمامَ عليه السلام، نجده يعُدُّ طاعة الإمام عليه السلام حظوة، ونصرته فوزاً، يقول: «مِنَ الأخذ بحظِّي مِن طاعتك، والفوز بنصيبي مِن نُصرتك» لتيقُّنه واعتقاده الرَّاجح أنَّ الإمام عليه السلام هو العامل لإعمام الخير والنَّجاة من الضَّلال والهَلكة.

ويرتبط خطابه المتقدِّم المتضمِّن الولاء والطَّاعة بما بعده من الكلام؛ لأنّه أخبر عمّا تقدَّم بكلامٍ أثبتَ فيه حقَّهم المفروض على الأُمَّة من خلال قوله: «وأنتم حجَّةُ الله على خلقه، ووديعتُه في أرضه، تفرَّعتُم من زيتونةٍ أحمديَّةٍ، وهو أَصلها، وأنتُم فرعها»، تلحظ في هذا النَّصِّ إشارة منه إلى الآية المباركة، وهي قوله تعالى: ﴿...ويوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ﴾[النُّور: ٣٥].

فزاد الكلام إيضاحاً واتِّصالاً، وقوَّةً وتوكيداً، بهذا التصوير العائد على الدَّوحة المحمَّديَّة المباركة، وهي المنعوتة بالشَّجرة النورانيَّة المباركة، ثمَّ خاطب الإمام عليه السلام متفئِّلاً له بالسَّعد والخير، إشارة إلى عادة من عادات العرب، فهم يتفاءلون بالطائر إذا كان مروره في وضعٍ معيَّنٍ لديهم، ويتشاءمون إذا كان مروره

في الوضع المغاير، ويدلُّ هذا على التسليم المطلق له، والتنبُّؤ بالسَّعادة في نهضته الميمونة التي سوف يعمُّ بها الخير والنَّصر في العاجل أو في الآجل. وهو بهذا رسم لنا صورة رائعة في بيان طاعة الأقوام، ولمّا كان يعلم من أقوامه أنَّهم عصيّو الانقياد، فعمد إلى تصوير لِينهم وطاعتهم تذلُّلاً وقَبولاً، وكان وصفهم بالتذليل موفَّقاً حينما ارتبط بلفظ الأعناق في قوله: «فقدْ ذلَّلتُ لكَ أعناق بني تميم»؛ لأنَّ تذليلَ الأعناق يعني الخضوع، ودفع الأنفة والكبرياء، وقدْ جاء التعبير القرآنيُّ رابطاً التذليل بالأعناق في قوله تعالى: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقهمْ لَهَا خَاضِعِين﴾[الشُّعراء: ٢٦]، فتذليل الأعناق في النَّصِّ يُراد به الطاعة والانقياد، ولمّا لانوا ورقُّوا بيَّن حالهم بصورة مستمدَّة من بيئته العربيَّة، تدلُّ على شدَّة طاعتهم وتلهُّفهم للقائه، واللُّحوق به، كحال الإبل الظمأى يوم ورودها، وهي لم ترد الماء منذ عدّة أيّام.

إنَّ هذا الخطاب الذي كتبه أحد زعماء البصرة جواباً على كتاب الإمام الحسين عليه السلام ملبِّياً دعوته وما انتُدب إليه، فأحزم أمره، وعبَّأ أقوامَه، بعدما أقنعهم بهذا الخطاب المؤثِّر الذي وقع في نفوسهم، وقدْ ساقه بأُسلوبٍ رصينٍ مترابطٍ ومتناسقٍ، كما بيَّنا في أثناء تحليل خطابه، بإبراز العلائق بين الكلام، والكشف عن وسائل التواصل والإقناع بين المتكلِّم والمخاطب.

وبعد التدقيق من وثاقة نفسه وأصحابه، كتب إلى الإمام عليه السلام بما هم عليه من الثَّبات والتأييد له والنَّهضة معه، وقدْ خاطب الإمام عليه السلام بأُسلوبٍ يحمل روح التأدُّب والتهذيب والخضوع واللِّين، وقدْ جاء بكلامٍ جزلٍ متماسكٍ رصينٍ، مليءٍ بالصُّور وفنون البلاغة، وقدْ حاولنا أنْ نكشف عن الوسائل التي تضمَّنها هذا الخطاب الحجاجيّ من طرقٍ للإقناع والتوصيل والإبلاغ، وتعيين القوّة

الإنجازيَّة للكلام من أجل التأثير في نفس المتلقِّي، ومِن ثَمَّ استجابته لقبول هذا الخطاب.

اشتمل جوابه على رسالةٍ تُنبئ عن صاحبها وما يحمله مِن حِلمٍ، وإدراك، ووعيٍ، وقراءة متبصِّرة بالأُمور وعواقبها؛ لذا فهي متضمِّنة بعداً عقائديَّاً، وفكراً راسخاً، سلكتْ فيه طريق الحقِّ المبين؛ إذ بيَّن في جوابه فوزه، وحظوته، وهو يُنتدب من أجل إحقاق الحقِّ، وإزهاق الباطل، ويُدعى إلى نصرة سبط رسول الله صلى الله عليه وآله، فجاء جوابه مباركاً بدعوةِ الإمام الحسين عليه السلام، وهو يرى أنّه الإمامُ العاملُ في تثبيت الحقِّ والعدل، كما ذكر في قوله: «وإنَّ الله لم يُخل الأرضَ من عاملٍ عليها بخير، ودليلٍ على سبيل النَّجاة، وأنتُم حجَّة الله على خلقه..».

من خلال ما تقدَّم من النَّصِّ المبارك لأحد أشراف البصرة، وهو يدعو قومه من أجل قضيَّةٍ نبيلةٍ تُدرأُ فيها فتنةٌ أحاطتْ بالأُمّة، تهدف إلى إماتة الدِّين وتعطيل أحكامه، لولا وقفة سيِّد الشُّهداء عليه السلام، وقضيَّته التي بقيتْ رمزاً خالداً في مقارعة الظُّلم والطُّغيان؛ ومن أجلها وقف (يزيد بن مسعود النهشليُّ البصريُّ) الوقفة المشرَّفة التي بقيَ فيها حيَّاً بحياة الحسين عليه السلام، حينما ألقى ذلك الخطاب البليغ المتضمِّن معاني البطولة والشَّجاعة والمروءة، بأساليب اللُّغة الفنِّيَّة المشتمل على الوسائل المؤثِّرة، فقدْ كانَ موفَّقاً في طرحه؛ يدلُّ على ذلك استجابة أبناء قومه، واستقبالهم خطابه. والحمدُ لله ربِّ العالمينَ

الهوامش

١- يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٥/ ٣٥٧، والكامل في التَّاريخ: ٣/ ٣٥، والملهوف في قتلى الطفوف (طبعة دار الأُسوة - إيران)، ومقتل الحسين عليه السلام المسمَّى باللُّهوف في قتلى الطفوف (طبعة الأعلميّ): ص٢٦، وأعيان الشِّيعة: ٢/ ٤٠٤-٤٠٦.

٢- يُنظر: الملهوف في قتلى الطفوف: ص٢٦.

٣- يُنظر: ديوان الأدب: ص٦٠٤، ومعجم مقاييس اللُّغة: ٢٠/ ٣٠ (حجّ).

٤- يُنظر: معجم مقاييس اللُّغة: ٢/ ٢٠ (حجّ).

٥- زاد المسير: ص٤٥١، تُراجع الآيات: ٨٠، ٨١ من سورة الأنعام.

٦- يُنظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٢٩-٣٠، وتحليل الخطاب في ضوء أحداث اللُّغة: ص٤٦.

٧- يُنظر: الحِجاج في القرآن: ص٤-١٦.

٨- بلاغة الخطاب وعلم النَّصّ: ص٩٢.

٩- يُنظر: تحليل الخطاب في ضوء أحداث اللُّغة: ص٤٩.

١٠- يُنظر: مدخل الحِجاج إفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، د. محمّد المولى، مجلّة عالم الفكر: ع٢، مج ٧٠، أُكتوبر -ديسمبر ٢٠١١م: ص١٢.

١١- تاريخ الطبريّ: ٥/ ٢٤١.

١٢- اللُّباب في تهذيب الأنساب: ٣/ ٣٣٨، ومعجم قبائل العرب: ٣/ ١١٩٧- ١١٩٤.

١٣- تاريخ الطبريّ: ٥/ ١٥٣- ١٥٤.

١٤- يُنظر: المصدر نفسه: ٥/ ١٥٣- ١٥٤، والطَّبقات الكبرى: ٣/ ١٩-٢٠، ومقاتل الطالبيّين: ٥٦-٥٧.

١٥- الملهوف في قتلى الطُّفوف: ص١١٠.

١٦- يزيد بن مسعود النَّهشليُّ البصريُّ، إرادةٌ وموقفٌ: ص١١.

١٧- في طبعة الأعلميّ: (موضعي منكم، وحسبي فيكم).

١٨- (والذي)، لعلَّ الواو هنا جاءت زائدة في غير موقعها، والصَّحيح: (وهيهات الذي أراد)، وقدْ جاء في بعضِ الكتب (الذي) مجرَّدة من الواو، يُنظر: بحار الأنوار: ٤٤/ ٤٦٧-٤٨٨.

١٩- ورد في طبعة الأعلميّ (فرسان)، ونرجِّح أنَّه هو الصَّحيح.

٢٠- ورد في طبعة الأعلميّ (إذا شئت فافعل).

٢١- هكذا جاء في النَّصِّ، والصَّحيح (ظعنت).

٢٢- في طبعة الأعلميّ (ما لك آمنك).

٢٣- الملهوف في قتلى الطُّفوف (دار الأسوة-إيران): ص١١٠-١١٣، ومقتل الحسين عليه السلام المسمَّى باللُّهوف في قتلى الطُّفوف (الأعلميّ- بيروت): ص٢٧-٢٨.

٢٤- النَّسق القرآنيُّ- دراسة أُسلوبيّة: ص٤٠٦.

٢٥- أُصول تجلِّيات الخطاب في النظريَّة النَّحويّة - تأسيس نحو النَّصِّ: ٢/ ٨١٧.

٢٦- التفسير البلاغيّ للاستفهام: ٤/ ٦٢ و ٧٩.

٢٧- مسند أحمد: ١/ ١٩٩، ويُنظر الغدير في الكتاب والسُّنَّة والأدب: ١/ ٦٥.

٢٨- تاريخ الطبريّ: ٥/ ٤٢٤-٤٢٥، ويُنظر الكامل في التاريخ: ٣/ ١٦٩-١٧٠.

٢٩- الكتاب: ٢/ ٢٣٢، ويُنظر: المشيرات المقاميّة في القرآن: ص٢٥٦.

٣٠- المشيرات المقاميّة في القرآن: ص٢٥٤.

٣١- المثل السَّائر: ١/ ١٨٥

٣٢- الفعل زمانه وأبنيته: ص٢١-٢٣.

٣٣- يُنظر: المصدر نفسه: ص٣٣.

٣٤- مسند أحمد: ١/ ١٩٩، ويُنظر: سنن ابن ماجة: ١/ ٤٣.

٣٥- شواهد التنزيل: ١/ ٢٠٠، ويُنظر: البداية والنِّهاية: ٧/ ٣٨٦.

٣٦- نظرات في التُّراث اللُّغويّ العربيّ: ص٤٣-٤٤.

٣٧- يُنظر: المشيرات المقاميّة في القرآن: ص١٢٦.

٣٨- مفردات ألفاظ القرآن: ص٢٥١ (حلَّ)، ويُنظر: اللِّسان: ١١/ ١٦٤ (حلل).

٣٩- الفروق اللُّغويَّة: ص١٣٠.

٤٠- مفردات ألفاظ القرآن: ص٦٣١ (فَرَطَ).

٤١- اللِّسان: ٧/ ٣٦٦ (فَرَطَ).

٤٢- شرح الكافية، الرَّضيّ: ٣/ ٨٥.

٤٣- الحِجاج في البلاغة المعاصرة- بحث في بلاغة النَّقد المعاصر: ص١١٤، ويُنظر: الخطاب الحجاجيّ لأهل البيت عليهم السلام في كتاب الاحتجاج- دراسة تداوليَّة، (أُطروحة دكتوراه): ص٤٠.

٤٤- يُنظر: بلاغة الإقناع في المناظرة: ص٨٧.

٤٥- يُنظر: النِّداء في القرآن الكريم: ص٢٠١ و ٢٠٧.

٤٦- نظرات في قضايا اللُّغة العربيّة: ص١٥٦، ويُنظر: مقاصد التعبير القرآني- دراسة في بعض قصار السُّور القرآنيَّة: ص٣٢.

٤٧- جمهرة اللُّغة: ٢/ ٩٨٣ (هلك).

٤٨- ديوان الأدب: ص١٢١ (فَعَل).

٤٩- مسند أحمد: ٣/ ١٩، ويُنظر: سنن أبي داود: ٢/ ٣٢٥.

٥٠- مجمع الزوائد: ٩/ ١١٤، ويُنظر: المعجم الكبير: ١١/ ٥٥.

٥١- اللِّسان: ٢/ ١٣١ (حدث).

٥٢- التعريفات: ص١١٨.

٥٣-الكشَّاف: ١/ ١٦٣.

٥٤- شرح الكافية للرَّضيّ: ٣/ ٨٩.

٥٥- المصدر نفسه: ٣/ ٩٠.

٥٦- نظام الارتباط والرَّبط في تركيب الجملة العربيَّة: ص١٤٦.

٥٧- اللِّسان: ١٤/ ٢٦١.

٥٨- السُّنن الكبرى: ٥/ ١٤٩، ويُنظر: خصائص أمير المؤمنين عليه السلام: ص١٢٣، مع اختلاف في الرِّواية (قال: هذان ابناي، وابنا ابنتي).

٥٩- مقتل الحسين، للخوارزميّ: ١/ ٣٥٧.

٦٠- يُنظر: تاريخ الطّبريّ: ٥/ ٣٢٢.

٦١- الحِجاج في القرآن من خلال أهمِّ خصائصه الأُسلوبيَّة: ص١٧٥-١٧٦.

٦٢- يُنظر: المشيرات المقاميَّة في القرآن: ص٣٣٥-٣٣٦.

٦٣- الكتاب: ١/ ٤٣٧-٤٣٨.
٦٤- شرح ألفيَّة ابن النَّاظم: ص٣٢.
٦٥- شرح الكافية، الرَّضيّ: ٢/ ٤٧٧.
٦٦- المشيرات المقاميَّة في القرآن: ص٥٨-٥٩.
٦٧- Stephen c, levinson Pragmatics, P87
ويُنظر: مدخل إلى علم الدَّلالة: ص٢٢٧ عن المشيرات المقاميَّة في القرآن: ص٦١.
٦٨- المشيرات المقاميَّة في القرآن: ص٦٢.
٦٩- يُنظر: بلاغة الخطاب وعلم النَّصِّ: ص٣٤٠-٣٤١.
٧٠- التصوير الفنِّيّ في القرآن: ص٨٢.
٧١- التقابل الجماليّ في النَّصِّ القرآنيّ - دراسة جماليَّة فكريَّة أُسلوبيَّة: ص١٥٣-١٥٤.
٧٢- المثل السَّائر: ١/ ٢١٠-٢١١.
٧٣- الخطاب القرآنيّ - دراسة في العلاقة بين النَّصِّ والسِّياق: ص٥٥-٥٦.
٧٤- جماليَّات الخبر والإنشاء: ص١٢٧.
٧٥- مقدَّمة في علمي الدَّلالة والتَّخاطب: ص٣٤-٣٥.
٧٦- جمهرة اللُّغة: ٢/ ٨٧٢ (عَشَو).
٧٧- المصدر نفسه: ٢/ ٨٤٠ (سكع).
٧٨- الكشَّاف: ٤/ ٤٦٧.
٧٩- البرهان في علوم القرآن: ٣/ ٤٠١، ويُنظر: تحليل الخطاب في ضوء نظريَّة أحداث اللُّغة: ص١٣٥.
٨٠- جماليَّات الخبر والإنشاء - دراسة جماليَّة بلاغيَّة نقديَّة: ص٦٣-٦٤.
٨١- يُنظر: مقدَّمة في علمي الدَّلالة والتخاطب: ص٣٥-٣٦.
٨٢- يُنظر: المشيرات المقاميَّة في القرآن: ص٣٩١ و ٤١٧.
٨٣- يُنظر: المعنى وظلال المعنى - أنظمة الدَّلالة في العربيَّة: ص١٥٥.
٨٤- يُنظر: نظريَّة النَّصِّ من بنية المعنى إلى سيمائيَّة الدَّالّ: ص٢٧٣-٢٧٤.
٨٥- المعنى وظلال المعنى - أنظمة الدَّلالة في العربيَّة: ص١٥٥.
٨٦- يُنظر: أُصول تحليل الخطاب في النظريَّة النَّحويَّة العربيَّة-تأسيس(نحو النَّصِّ): ١/ ١٢٧.

المصادرُ والمراجعُ

- القرآنُ الكريمُ.
١- أُصولُ تجليَّات الخطاب في النظريَّة النَّحويَّة - تأسيس النَّصِّ، محمّد الشَّاوش، جامعة منّوبة، كلِّيَّة الآداب بمنّوبة، المؤسّسة العربيّة للتوزيع، تونس، ط١، ٢٠٠١م.
٢- أعيانُ الشِّيعة، محسن الأمين، تحقيق: حسن الأمين، النّاشر: دار التعارف للمطبوعات.
٣- بحارُ الأنوار الجامعة لدُرر أخبار الأئمَّة الأطهار عليهم السلام، الشّيخ محمّد باقر المجلسيّ، تعليق: عليّ النمازيّ الشاهروديّ، مؤسّسةالأعلميّ، بيروت، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
٤- البدايةُ والنِّهايةُ، ابن كثير (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: عليّ شيري، دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
٥- البرهانُ في علوم القرآن، بدر الدِّين، محمّد بن عبد الله، الزركشيّ (ت٧٩٤هـ)، قدّم له وعلَّق عليه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.
٦- بلاغةُ الإقناع في المناظرة، د. عبد اللَّطيف عادل، منشورات الاختلاف - دار الأمان، الرِّباط، ط١، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.
٧- بلاغةُ الخطاب وعلم النَّصِّ، د. صلاح فضل، الشّركة المصريّة العالميّة للنشر- لونجمان، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م.
٨- تاريخُ الطبريّ، تاريخ الرُّسل والملوك، لأبي جعفر، محمّد بن جرير، الطبريّ (ت٣١٠هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٥، (د.ت).
٩- تحليلُ الخطاب في ضوء نظريَّة أحداث اللُّغة- دراسة تطبيقيَّة لأساليب التأثير والإقناع الحِجاجيّ في الخطاب النسويّ في القرآن الكريم، د. محمود عكاشة، دار النشر للجامعات - القاهرة، ط١، ٢٠١٣م.
١٠- التصويرُ الفنِّيّ في القرآن، سيِّد قطب، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣م.
١١- التَّعريفاتُ، السَّيِّد الشَّريف عليّ بن محمّد، الجرجانيّ(ت٨١٦هـ)، دار إحياء التُّراث

العربيّ، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

١٢- التفسيرُ البلاغيّ للاستفهام في القرآن الكريم، د. عبد العظيم إبراهيم المطعنيّ، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

١٣- التقابلُ الجماليّ في النَّصِّ القرآنيّ - دراسة جماليَّة فكريَّة أُسلوبيَّة، د. حسين جمعة، دار النمير، دمشق، ط١، ٢٠٠٥م.

١٤- جماليَّةُ الخبر والإنشاء- دراسة بلاغيّة جماليّة نقديّة، د. حسين جمعة، منشورات دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

١٥- جمهرةُ اللُّغة، لأبي بكر، محمّد بن الحسن بن دريد(ت ٣٢١هـ)، تحقيق: د. رمزي منير بعلبكيّ، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

١٦- الحِجاجُ في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النَّقد المعاصر، د. محمّد سالم محمّد الأمين الطلبة، دار الكتاب الجديد المتَّحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.

١٧- الحِجاجُ في القرآن من خلال أهمِّ خصائصه الأُسلوبيَّة، عبد الله صوله، دار الفارابيّ، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م.

١٨- خصائصُ أمير المؤمنين عليه السلام، النَّسائيّ(ت٣٠٣هـ)، تحقيق: محمّد هادي الأمينيّ، مكتبة نينوى الحديثة، طهران.

١٩- الخطابُ القرآنيّ - دراسة في العلاقة بين النَّصِّ والسِّياق، د. خلود العموش، عالم الكتاب الحديث.

٢٠- ديوانُ الأدب، أبو إبراهيم، إسحاق بن إبراهيم، الفارابيّ (ت٣٥٠هـ)، تحقيق: د. أحمد مختار عمر، الشَّركة المصريَّة العالميَّة للنشر - لونجمان، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٢١- زادُ المسير في علم التفسير، لأبي الفرج، عبد الرَّحمن بن عليّ بن محمّد، الجوزيّ(ت٥٩٧هـ)، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٢٢- سننُ ابن ماجة، محمّد بن يزيد، القزوينيّ (ت٢٧٣هـ)، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

٢٣- سننُ أبي داود، سليمان بن الأشعث، السِّجستانيّ (ت٢٥٧هـ)، تحقيق: سعيد محمّد اللَّحَّام، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٢٤- السُّننُ الكبرى، للنَّسائيّ(ت٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الغفّار سليمان البنداريّ، وسيّد كسروي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٢٥- شرحُ ألفيَّة ابن مالك، لابن النَّاظم، لأبي عبد الله، بدر الدِّين، محمّد ابن الإمام جمال الدِّين، محمّد بن مالك، دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٢٦- شرحُ الكافية، الرَّضيّ الاستراباذيّ، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

٢٧- شواهدُ التَّنزيل لقواعد التفضيل، عبيد الله بن أحمد (الحاكم الحسكانيّ) (ق٥هـ)، تحقيق: محمّد باقر المحموديّ، مجمع إحياء الثَّقافة الإسلاميّة، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٢٨- الطبقاتُ الكبرى، محمّد بن سعد(ت٢٣٠هـ)، دار صادر، بيروت.

٢٩- الغديرُ في الكتاب والسُّنَّة والأدب، عبد الحسين أحمد، الأمينيّ، النَّجفيّ، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٣٠- الفروقُ اللُّغويّة، لأبي هلال، الحسن بن عبد الله بن سهل، العسكريّ (ت٤٠٠هـ)، علَّق عليه ووضع حواشيه: محمّد باسل عيون السُّود، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٣١- الفعلُ زمانه وأبنيته، د. إبراهيم السَّامرَّائيّ، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٣٢- الكاملُ في التاريخ، عزّ الدِّين، أبو الحسن، عليّ بن أبي الكرم، المعروف بابن الأثير (٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السَّلام تدمري، دار الكتاب العربيّ، بيروت.

٣٣- الكتابُ، كتاب سيبويه، لأبي بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السَّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، مطبعة المدنيّ،ط٣، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٣٤- الكشَّافُ عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم، محمود بن عمر، الزمخشريّ، تحقيق: عبد الرزَّاق المهدي، مؤسَّسة التاريخ العربيّ، بيروت، ط٢، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٣٥- اللُّبابُ في تهذيب الأنساب، لابن الأثير الجزريّ(ت٦٣٠هـ)، دار صادر، بيروت.

٣٦- لسانُ العرب، لأبي الفضل، جمال الدِّين، محمّد بن مكرم بن منظور، الأفريقيّ، المصريّ، دار صادر، بيروت، ط٦، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٣٧- مجمعُ الزَّوائد، الهيثميّ(ت٨٠٧هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٣٨- المثلُ السَّائر في أدب الكاتب والشَّاعر، ضياء الدِّين بن الأثير، تحقيق: د. أحمد الحوفيّ، و د. بدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط١، ١٣٧٩هـ- ١٩٥٩م.

٣٩- مدخلُ إلى علم الدَّلالة، فرانك بالمر، ترجمة: خالد محمود جمعة، دار العروبة، الكويت، ط١، ١٩٩٧م. [عن كتاب (المشيرات المقاميَّة في القرآن)، منى الجابريّ].

٤٠- مسندُ أحمد، الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت.

٤١- المشيراتُ المقاميَّة في القرآن، منى الجابريّ، مؤسَّسة الانتشار العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠١٣م.

٤٢- معجمُ قبائل العرب، د. عمر كحَّالة، دار العلم للملايين، بيروت.

٤٣- المعجمُ الكبير، الحافظ سليمان بن أحمد، الطبريّ (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السّلفيّ، دار إحياء التُّراث العربيّ، ط٢، (د.ت).

٤٤- معجمُ مقاييس اللُّغة، لأبي الحسين، أحمد بن فارس(ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السَّلام محمّد هارون، ط٣، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٤٥- المعنى وظلال المعنى - أنظمة الدَّلالة في العربيَّة، د. محمّد محمّد يونس عليّ، دار المدار الإسلاميّ، بيروت، ٢٠٠٧م.

٤٦- مُغني اللَّبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاريّ (ت٧٦١هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، و محمّد عليّ حمد الله، مؤسّسة الصّادق عليه السلام، طهران، مطبعة أمير، ط١، ١٣٧٨هـ.

٤٧- مفرداتُ ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهانيّ، تحقيق: عدنان داوودي، منشورات ذوي القربى، قم، ط٣، ١٤٢٤هـ.ق - ١٣٨٢هـ. ش.

٤٨- مقاتلُ الطالبيّين، لأبي الفرج الأصفهانيّ(ت٣٥٦هـ)، تقديم وإشراف: كاظم المظفَّر، ط٢، المكتبة الحيدريَّة، النَّجف الأشرف، دار الكتاب، قم، إيران.

٤٩- مقاصدُ التعبير القرآنيّ- دراسة في بعض السُّور القرآنيَّة، د. فاخر هاشم الياسريّ، دار الحامد، عمّان، ط١، ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م.

٥٠- مقتلُ الحسين للخوارزميّ، لأبي المؤيَّد، الموفَّق بن أحمد، المكّيّ (ت٥٦٨هـ)، تحقيق: الشَّيخ محمّد السّماويّ، منشورات أنوار الهدى، ط٢، ١٣٨١هـ.ش- ١٤٢٣ هـ.ق.

٥١- مقتلُ الحسين عليه السلام المسمَّى باللّهوف في قتلى الطُّفوف، عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن طاووس، الحسينيّ (ت٦٦٤هـ)، منشورات مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

٥٢- مقدّمةٌ في علمي الدَّلالة والتخاطب، د. محمّد محمّد يونس عليّ، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

٥٣- الملهوفُ على قتلى الطُّفوف، لأبي القاسم، عليّ بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت٦٦٤هـ)، تحقيق: فارس تبريزيان الحسّون، دار الأُسوة - إيران، ط٤، ١٤٢٥هـ.

٥٤- النِّداءُ في القرآن الكريم، د. معن توفيق دحّام الحياليّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.

٥٥- نظامُ الارتباط والرَّبط في تركيب الجملة العربيَّة، د. مصطفى حميدة، الشَّركة المصريَّة العالميَّة للنشر- لونجمان، القاهرة.

٥٦- نظراتُ في التُّراث اللُّغويّ العربيّ، د. عبد القادر المهيريّ، دار الغرب الإسلاميّ- بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

٥٧- نظراتُ في قضايا اللُّغة العربيَّة، د. فاخر هاشم الياسريّ، دار الحامد، عمّان، ط١، ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م.

٥٨- نظريَّةُ النَّصِّ من بنية المعنى إلى سيمائيَّة الدَّالِّ، د. حسين خمري، الدَّار العربيَّة للعلوم - ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٥٩- النَّسَقُ القرآنيّ- دراسة أُسلوبيَّة، د. محمّد ديب الجاجي، دار القبلة للثقافة الإسلاميّة - مؤسّسة علوم القرآن، جدَّة - المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠٠١م.

- Levinson (C. Stephen) Pragmatics, India, Cambridge, 1983

Lyons john.

عن كتاب (المشيرات المقاميَّة في القرآن) منى الجابريّ، مؤسَّسة الانتشار العربيّ- بيروت، ط١، ٢٠١٣م.

الرَّسائلُ والأُطروحاتُ الجامعيَّة

٦٠- الخطابُ الحِجاجيّ لأهل البيت عليهم السلام في كتاب الاحتجاج - دراسة تداوليّة، عبد الحسن عليّ حبيب النّاصر (أُطروحة دكتوراه)، كلِّيّة الآداب، جامعة البصرة، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.

البحوث

٦١- مجلّة عالم الفكر، ع٢، مج ٤٠، أُكتوبر- ديسمبر، ٢٠١١م.